



البيانات العالمية



قصص

خورخي لويس بورخيس كتاب الرمل

ترجمة : سعيد الفانمي



26-01-2018





mol

mol

mohamed khatab



رقم التصنيف : ٨١٣

المؤلف ومن هو في حكمه : خورخي لويس بورخيس، ترجمة سعيد الفاندي

عنوان المصنف : كتاب الرمل، قصص ط٢

الموضوع الرئيسي : ١- الآداب

٢- القصة المترجمة

رقم الإيداع : (١٩٩٢/١١/١٧٤١)

بيانات النشر : عمان : دار أزمنة .

٣- تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

ISBN 9957-09-009-7 (ردمك)

رقم الإجازة التسلسل : ١٩٨٩/١١/٦٣٨

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب :

THE BOOK OF SAND

☐ كتاب الرمل : خورخي لويس بورخيس

☐ الطبعة الأولى : منارات ، ١٩٩٠

☐ الإصدار الثاني : دار أزمنة ، ١٩٩٩

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق وعقد

أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : ٥٥٢٢٥٤٤

ص.ب : ٩٥٠٢٥٢

عمّان ١١١٩٥ الأردن

شارع وادي صقرة، عمارة الدوحة، ط ٤

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, stored in any retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

لوحة الغلاف : يمني - شتغ (كوريا)

تصميم الغلاف : أزمنة (الياس فركوج)

فرز وسحب الأفلام : الشروق

الطباعة : شركة الشرق الأوسط للطباعة

تاريخ الصدور : كانون الثاني ١٩٩٩



إبداعات عالمية



قصص

خورخي لويس بورخيس

كتاب الرمل

ترجمة سعيد الغانمي



ولد خورخي لويس بورخيس في بوينس آيرس في ٢٤ آب / أغسطس عام ١٨٩٩ . انتقل مع أسرته إلى أوروبا عام ١٩١٤ ، ليلتحق بمدرسة في جنيف حتى عام ١٩١٩ ، حيث تعلم الفرنسية والألمانية واللاتينية وكان قد أتقن الانكليزية عن طريق جدته ذات الأصل البريطاني . ثم أمضى عامين في إسبانيا قبل أن يعود عام ١٩٢١ إلى الأرجنتين ، وشرع هناك في كتابة قصائده التجريبية الأولى .

أنشأ مع مجموعة من أصدقائه المهتمين بالشعر الطليمي حركة أدبية عرفت بـ (ULTRAISSIMO) كانت تعمل على تطوير شكل شعري يتصف بتتابع السطور . وفي عام ١٩٢٣ أصدر أول كتاب شعري له تحت عنوان : حماس بوينس آيرس ، حيث تجلت فيه اتجاهاته تلك .

عمل بورخيس مديراً للمكتبة الوطنية في بوينس آيرس منذ العام ١٩٥٥ ، ثم استأذ للأدب الانكليزي في جامعتها . كما شغل منصب استاذ الشعر في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٧ . وقام بالقاء العديد من المحاضرات حول الأدب الأرجنتيني في جامعات الولايات المتحدة وأوروبا .

حظي أدبه المتفرد باهتمام وتقدير كبيرين ، ومن مختلف الشعوب ، فقد تقاسم مع مرموقيل بيكيت جائزة النابشرين الدولية عام ١٩٦١ . ومنح درجة الدكتوراه في الآداب عام ١٩٧٠ من جامعتي كولومبيا واكسفورد . كذلك منحه جامعة السويدون الفرنسية دكتوراه فخرية . وقد تتوج ذلك كله في العام ١٩٨٠ حين تسلّم في مدريد جائزة سرفنتيس للآداب ، وهي أرفع جائزة ثقافية في العالم الناطق بالاسبانية .

لم يكتب بورخيس رواية واحدة. ومع ذلك فإن كتبه الثلاثين في القصة القصيرة والمقالة والشعر تعد من أثري المؤلفات خيالاً، ومن أعمقها أثراً، وأشدها إثارة لمكونات النفس البشرية. وقد كان ملهمه في كتاباته تراث الإنسانية كافة، شرفها وغريبها، بكل تنوعه وتناقضه وبحته، ولطالما تحدث عن تأثيره بكتاب «ألف ليلة وليلة» وكتب التاريخ العربي. وكان خياله الجامح يجعل من كل هذه الثقافات مادة خاماً ينجسها لطاقني الحلم والذاكرة، ليؤسس منها، عبر لغة شديدة الكثافة والتحديد أدبه الخيالي، والأصيل.

اعتبره النقاد أحد أهم المؤثرين في أدب أميركا اللاتينية وأدبائها، من أمثال كورتشار، ماركيز، فونيس وغيرهم.

من أشهر أعماله: مناهات - تقرير الدكتور برودي (صدر بالعربية عن دار الشؤون الثقافية في العراق ١٩٨٨ من ترجمة نهاد الحايك) - تاريخ عالمي لسوء السمعة - كتاب الموجودات المتخيلة - الألف - كتاب الرمل وغيرها.

توفي بورخيس عام ١٩٨٥ عن ٨٦ عاماً في جنيف التي عاش فيها زمن فتوته الأولى، والتي قديم إليها قبل وفاته بشهر قليلة وأوصى أن يدفن فيها.

بورخس لعبة التفسيرات الغامضة

بقلم: سعيد الغانمي

كتب «توفاليس»: «حين نحلم أننا نحلم، فهذه بداية البقطة». نضعنا كلمة توفاليس هذه في قلب الرؤية البورخسية.

إن أرض بورخس هي الحلم والوهم واللايقين. كل شيء لا يؤدي الى شيء. انني أحلم بنفسي في زمان ومكان آخر، وفجأة اكتشف أنني أحلم. هكذا يمتزج الحلم الحلم، ويذبحه باكتشاف الحلم المضاد.

قال بورخس مرة «قيض لي أكثر من مرة أن أقرأ ترجمة أنطوان غالان لآلف ليلة وليلة. اكتشفت أشياء كثيرة لكنني حلت بشيء واحد، هو أن أملك بساطا سحريا، ينقلني الى كل الأمكنة والى كل الأزمنة، لم يكن لتحقيق هذا ممكنا فأطلقت تخيالي العنان».

أن أحلم بأحد قد يكون أن يحلم بي. وقد يظن كلانا أنه الحلم - كما يقول بورخس في قصة «الآخر» - وربما توقفنا عن الحلم وربما واصلناه. . وواجبنا في الوقت نفسه أن نقبل بالحلم تماما كما نقبل بالعالم، وبأننا نولد ونرى وننفس. إن إعادة فحص الحلم هي نوع من نظرية معرفة مضمرة تنطوي عليها أعمال بورخس. فبورخس على حد تعبير غالفز - كان «فيلسوبا هاويا طيلة حياته وأعماله مليئة بالأفكار». إن أفكاره تعري المعرفة البشرية وتفضح غرورها عندما تكشف عن الهوة الفاصلة بين الكلمة والمعرفة واللايقين.

بين شخصيات بورخس المفضلة اثنان هرقا بالمشالية الذاتية: باركلي وشوينهور. وليس اختبار بورخس لها بعث. إن بورخس لا يختارهما لكي يثبت أنه بل ليظبعهما. ففي فلسفة باركلي يتحول كل شيء الى إدراك، فالشيء هو

المدرک، وما یختفي عن الادراك هو احتیال ونفي وافراض. فالشيء لا يكون هناك الا بقدر ما تسقط عليه حواسي، وهكذا فإن باركلي ينفي العالم لتسحق ذاته أو ليحولها الى لغة رمزية يتحدث بها كائن مطلق. انه في النهاية يؤكد ويطمئن ويريح، ولو بفضل العودة الى الحس أو المطلق. وقد وجد ميرلو بونتي في ذلك تعجباً للادراك الحسي واطمئناناً أولياً ببراعة الحواس، وإستباقها لكل منطق. أما شوبنهاور فقد امتص العالم لينفخ ذاته، وليجد نفسه أخيراً في الفرد والعبري وإنسان نبته المتوق.

بورخس يبدأ معها من النقطة نفسها، ولكنه ينتفض عليها. ذلك أن مثاليته الذاتية لا تؤدي الى ذات. انه يدرك أن الواقع تصور وإمثال وإدراك، ولكنه لا يستطيع أن ينتهي الى يقين يطمئنه على هذا التصور والامثال والأدراك، وأنها قبض ذاته، لأنه يجد ذاته دائماً في حالة حرب. انها تختفي دائماً وراء ذات أخرى، وتختفي تلك الذات الأخرى وراء تسلسل من الدوات الأخرى. في قصة «الأخر» يجد بطل القصة - واسمه بورخس - نفسه في كامبرج عام ١٩٦٩ أمام بورخس آخر في جنيف عام ١٩١٤ وكان عليه أن يبذل جهداً لأفئاع الآخر أنه بورخس، وفي النهاية يقول: «فكرت كثيراً في ذلك اللقاء الذي لم أروه لأحد. واعتقدت أنني وجدت المفتاح. كان اللقاء حقيقياً أما الآخر فكان يحلم عندما تحاور معي. وهذا ما يفسر نسبته لي. لقد تحدثت معه في اللحظة وما تزال ذكره تفصلي».

إذا لم تكن مثالية بورخس ذاتية، فماذا نكون؟ هل هي مثالية أفلاطون الموضوعية، أم مثالية «كانت» المتعالية؟ ان بورخس يعلن صراحة ضجيره من مثل أفلاطون، كتب يقول: «في تلك المجالات الفكرية لا أستطيع التعبير عن أية فكرة، ولا أعتقد أن أي فرد قادر على حتمها دون مساعدة الموت أو الحمي أو الجنون». وقد أشار غالغر معلقاً «في النهاية لا يمكن تدقيق أية فرضية عن الحياة الأخرى دون زيادها». وحتى لو زارها بورخس فإنه لن يؤمن. في قصة «الأخر» يستشهد بورخس بواحد من خيالات كولردج: «وعلى حين مرة تذكرت واحداً من خيالات كولردج: شخص ما يحلم بأنه يقوم برحلة في الجنة، فتقدم له زهرة، وفي اللحظة يجد الزهرة في يده». فيلجأ بورخس الى الخيلة نفسها، يطلب من الآخر قطعة نقود وبمطبه دولاراً. وفي اليوم التالي يكتشف أن الآخر كان يحلم بالتاريخ المكتوب على ظهر الدولار. ان شك بورخس يستوعب كل شيء حتى ذاته، وهكذا

بتطابق منه كل شيء حتى الشك نفسه . . انه لا يعلم ما إذا كان شكك شكاً أم حقيقة . . ولذلك فهو لا يستطيع أن يؤمن بذات متعالية . انه هار ويجرد مثل هندي أحمر . وهو أقرب الى شتراوس الذي كان يأخذ من « كانت » تعالیه دون أن يؤمن بالذاتية .

بورخس وشتراوس . . كلاهما كان يبحث عن النموذج الجديد وآمن كلاهما بضعف الأشياء . ولكن شتراوس لا يعرف قلق الروح . فلم يهرب ذلك الضياع الفكري في اللاشيء . انه يجد راحته أخيراً في أنتروبولوجيا بلا ذات ، وفي لعبة المكعبات النبوية المتعالية .

بورخس لا يستطيع أن يؤمن بالعلم لأنه لا يستطيع أن يؤمن بأي شيء حيث يفيض غرور المعرفة البشرية عن لا نهائية لعبة التفسيرات الغامضة وحيث يكون كل شيء ممكناً « فإذا كنت « لا تعلم » بوجود العالم أو من هو بورخس فإنك « لن تعلم » أن علامات أحشاء النمر الأميركي ليست برسالة سرية من الله » .

ثمة شبه آخر بين بورخس وشتراوس . وهو اهمال التاريخ ، فالتاريخ عند شتراوس دائم الغياب وملغى تماماً . انه يتعلق بها لا تاريخ له بكل معنى الكلمة . فالهم هو العلاقات بين الأشياء وليس الأشياء نفسها . . إن التاريخ عنده هو الخلفية المبتة التي لا تلقي ظلاً ولا تفسر . كتب شتراوس في « العقل البرّي » : « ان التاريخ ليس أبداً لذاته ، بل التاريخ بالنسبة لنا أولي . . » وكذلك بورخس الذي لا يعود التاريخ عنده سوى أسلوب لمعالجة الواقعة الآن . فإذا كان الزمان لا نهائياً فإنه دوري . جاء في قصة « كتاب الرمل » : « إذا كان الزمان لا نهائياً كنا عند أية نقطة في الزمان » . والابتداء من نقطة معينة يعني أن الزمان يتكرر . انه إعادة المتواصلة للنقاط نفسها . يمكن لبورخس عام ١٩٦٩ أن يلتقي ببورخس عام ١٩١٤ دون أن يشعر باختلال الزمان ، انه الشاهد على الزمان بدلا من أن يكون الزمان شاهداً عليه . وفي قصص بورخس جميعاً تتكرر لازمة التذكر المتعدد نفسها . جاء في قصة « ليلة الهبات » : « لقد انقضت الستون ورويت هذه القصة عشرات المرات ، ولست أدري ما إذا كنت أنذكرها كما هي أم أنني أتذكر كلماتي فقط » .

إن لقلق بورخس وريته الدائمة وظيفة إيجابية في فنه الأدبي ، لأنه حين يخفق معرقياً فإنه ينجح فنياً . فالشك في كل شيء هنا شك فعال ، ولا يكتفي بالمناح

والمعطى بل هو في حالة بحث متواصل ولا يستطيع أن يرضى بأي نموذج ، وهذا ما يفتح خياله لاستقبال النماذج الفنية والثقافية والمعرفية الجديدة باستمرار . كل نموذج بالنسبة له هو وضع شك ، ولهذا فإن أي نموذج مكتشف هو نموذج قديم . . وهكذا يبقى في حالة بحث مستمر . إن البحث هنا يكتسب قيمة أعلى وأبعد من قيمة النموذج الموجود ، وبورخس يحاول دائماً أن يبقى على خياله في حالة إنذار مثل تمر جريح يترصد . وهذا ما يجعله السيف والضحية في وقت واحد ، لأن هذا الشك واللايقين إذ يخلصه من الاطمئنان الى أي نموذج أليف ويؤدي به الى البحث الدائب عن اشكالية النماذج الممكنة ، فهو في الوقت نفسه يكون «نموذجه» المتكرر بحيث يصبح الشك نتيجة معرفية بدلاً من أن يكون وسيلة فنية ، وذلك ما يجعل قصص بورخس تنطوي في النهاية على الإرتياب واللايقين والتكرار والمناهة كقيم ثابتة وليس كأشكال فنية .

لعبة المرايا هي وسيلة بورخس الأولى . إن الصورة المنعكسة في المرآة تعكسها مرآة أخرى . وهكذا تتسلسل الصور . إن هذه اللعبة القديمة لا تشكل مصدراً للرجوع الى الموروث القديم أو صهر الزمن الميث في الزمن الحي فقط ، بل إنها تؤدي على المستوى المعرفي الى حالة التحول المتواصل في تسلسل الذوات وإحالتها المستمرة الى غيرها . إن بورخس دائماً غير موجود . . إن ذاته نحيلنا دائماً الى ذات أخرى ، ونحيلنا الذات الأخرى الى غيرها ، أو كما يفضل بورخس أن يسميها «الأنا الغيرية» حيث يكون المرء راصداً ومرصوداً . وهذا ما ينتهي بالمحاولة الى الشك والارتياب .

من الطبيعي أن الزمن سينغير معناه في هذه الحالة . . انه لا يعود مجرد منظر خلفي ثابت مع تغير الشاهد ، فهو يتقل من الزمن المحدد الى الزمن المجرد ، أي من الزمن الضيق نحو الأبدية الواسعة ، وفي «بوتويا رجل متعب» جرب بطل الفضة كيف يتقل من القرن الذي يعيش فيه الى مئات القرون في المستقبل وعندما التقى برجل المستقبل أخره هذا أنهم يحاولون أن يعيشوا من وجهة نظر الأبدية ولكن بورخس يريد لقصصه أن تكون حقيقية . ولذلك فهو يدس في قصصه جميعاً وقائع من حياته الخاصة ، أو في الأقل ، وقائع تاريخية من حياة سواه . وهو يؤكد على أن هذه القصص حقيقية رغم غرابيتها . . انها قصص حقيقية بمعنى أنها



تتضمن تجربة ذهنية أو باطنية، وليس بمعنى استوائها على مشكلة معينة، رغم أن بورخس لا يتورع عن أن تكون لقصصه ثيمات جانبية بالاضافة الى الثيمة الرئيسية .

الأخر

حدث ذلك في كامبرج، في شباط ١٩٦٩. لم أقم بأية محاولة لندوينه في ذلك الوقت، فقد كان هدفي آنذاك أن أتأساه، خشبة على عقيي. والآن وبعد انقضاء سنوات أشعر أنني لو سجلته على الورق، فإن الآخرين سيقروونه كقصة. وانهي لأرجو أن يتحول، يوماً ما، الى مجرد قصة رائسة بي أيضاً.

أعرف أنه كان مربعاً عندما وقع - وكان أكثر رعباً في ليالي الأرق التي اعقبته - لكن هذا لا يعني أن رواية ما حدث ستهز كل شخص آخر بالضرورة.

كانت الساعة حوالي الساعة العاشرة صباحاً كنت جالساً فوق أحد المقاعد التي تطل على نهر «نشرليز». وعلى مبعلة خمسمائة ياردة الى اليمين مني شخص واحد البناءات العالية التي لم أعرف اسمها قط. كانت المياه الرمادية تدفع الطوف احليدي. وقد دفعني ذلك الى التفكير بالزمن - صورة هيراقليطس قبل الف عام. لقد أخذت قسطاً وافراً من النوم، وكنت أفكر أن محاضرتي في عصر اليوم السابق قد استقطبت اهتمام طلابي وعلى مرمى البصر لم تكن ثمة نائمة أنداً

فجأة تولد عدي انطباع (والانطباع يعتمد على حالة التعب حسب ما يقول علماء النفس) بأنني قد عشت تلك اللحظة مرة من قس. جلس شخص ما على حافة المقعد الأخرى. كنت أفصل البقاء وحيداً، لكنني خشبة الظهور بمظهر الاعزالي فصلت أن أتجنب النهوض المفاجيء. ثم شرع الرجل الآخر بالصمير، وكان ذلك إيذاناً بأول الأشياء المزعجة في ذلك الصباح، صميره، أو ما كان يحاول أن يصفحه (أدني ليست موسيقية) كان نغمة «لاتابيرا» القديمة «إلياس ريفوليس» أعادني لحيه الى فناء دار معية في بويس أيرس احتف منذ زمن بعيد، وأيقظ في ذهني ذكرى ابن عمي «الفارو ميلين لافينيور» الذي قضى منذ سنوات عديدة. ثم

أخذنا بأطراف الأحاديث. م يكن الصوت صوت الفارو، بل تقسدا له ما ان تيته حتى انتاني الفرع.

قلت ملتفتا الى الرجل الآخر «سيدي هل أنت من الأرغواي أم أرجنتيني؟». أجاب «أرجنتيني، لكسي أعيش في جسف منذ عام ١٩١٤». ساد بيتنا صمت طويل، ثم سأله:

«في شارع مالاغور رقم سبع عشرة، قرب الكنيسة الأرثوذكسية؟»
رد بالإيجاب.

قلت بلا تردد «في هذه الحالة، فإن اسمك حورخه لويس بورخيس. أنا أيضا حورخه لويس بورخيس. والعام الآن هو ١٩٦٩، ونحن في مدينة كامبرج». «كلا» قالها بصوت هوسوتي، ولكنه بعيد قليلا صمت هنيهة ثم عاد ليؤكد:

«بل أنا هما في جنيف فوق مقعد على بعد خطوات من «الرون» والعريب في الأمر أننا متشابهان، ولكنك أكبر منا بكثير، وشعرك أشيب».

قلت: «أستطيع أن أثبت لك أنني لا أكذب. سوف أخبرك بأشياء لا يمكن لغريب أن يعرفها. في بيتنا قديم فني له قاعدة على شكل ثعابين مصفورة، وقد جلبه جدنا الأكبر من بيرو. وهناك أيضا طشت فني كان يتدلى من سرجه. وفي حزانة الثياب في غرفتك صفتان من الكتب: المجلدات الثلاث من الف ليلة وليلة طمعة «ليس» بنفوس معدنية وملاحظات مكتوبة بخط دقيق في نهاية كل فصل، ومعجم «كوبشرات» اللاتيني، وجرمانيا «تاسيتوس» باللاتينية، وترجمة غوردن الانكليزية، وطبعة غارنيه من «دون كيشوت» وكتاب «ألواح الدم» لريفيرو اندرائه الذي يحمل هذاء مؤلفه، و«الخياط وقد أعيدت خياطته» لـ «كارلايل»، والسيرة الذاتية لـ «أميل» ويخفي وراء بقية المجلدات مجلد ذو غلاف سميك عن العادات الجنسية في البلقان. ولست ناسيا أيضا إحدى الأماسي في الطابق الثاني في ساحة دوبروغ».

صح لي: «دوفور».

«حسنا دوفور. هل يكفي هذا الآن؟»

قال: «لا. هذه البراهين لا تدل على شيء. إذا كنت أحلم بك، فإن من الطبيعي أن تعرف ما أعرف. والملف الذي تقدمه على طوله عديم الفائدة تماما».

لقد أصاب في اعتراضه عليّ. قلت:

«إذا كان هذا الصباح وهذا اللقاء حلمين، فعلى كلياً أن يطل أنه الحلم. وربما توقفتنا عن الحلم، وربما واصلناه. وواجبنا اجلي، في الوقت نفسه، هو أن نضل بالحلم تماماً كما نضل بالعالم وأننا نولد ونرى وننتفس». «وإذا استمرّ الحلم؟» قال بحزع.

ولكي أهدئه وأهدى نفسي تظاهرت بطمئنان لم أكن أشعر به. قلت:
«لقد دم حلمي سبعين سنة الآن على أي حال، ليس هناك من لا يجد نفسه مع نفسه في البقطة وهذا ما يحدث لنا الآن - عدا أننا اثنان - ألا تريد أن تعرف شيئاً عن ماضيّ الذي هو المستقبل الذي يتظرلك؟».

وافق دون أن ينبس بكلمة فوصلت بشيء من الشرود:

«أمي مصحة جيدة، وهي بخير في بيتها في كاركاس ومايبور في بونيس آيرس أما أبي فقد مات منذ ثلاثين سنة. مات بنوبة قلبية. قضى عليه الشلل النصفي كانت يده اليسرى فوق يده اليمنى مثل يد طفل في يد مارد. مات توفاً إلى الموت ولكن دون شكوى كانت جدتنا قد ماتت في لبيت نفسه. قبل نهايتها مصحة أمام دعنا جميعاً سوية وقالت: «ابني امرأة عجوز أموت موت بطيئاً، بطيئاً جداً، فلا يكثر أحد لهذا الشيء اليومي العادي». أحتك نورا تزوجت ولها طفلان. ما مناسبة كيف حال اجميع في البيت؟»

«حسنة جداً. ما يزال والدي يمزح بكنهه المازقة ضد الدين أس قال أن المسيح كان من الذين لا يريدون أن يورطوا أنفسهم، ولهذا فقد كان تبشيره بالأمثل». تردد قليلاً وقال «وأنت؟».

«لا أعرف عدد الكتب التي سكتبتها. لكنني أعرف أنها ستكون كثيرة جداً سكتب قصائد منحك متعة لى يشاركك بها الآخرون، وقصصاً ذات طبيعة فنتازية الى حد ما، ومثل أبك وآخري في عائلتنا ستقوم بالتعليم».

سرتي أنه لم يسأل عن نجاح كتبه او إخفاقاتها. عبرت نبرة حديثي وواصلت:
«أما عن التاريخ، فقد اندلعت حرب أخرى بين اخصوم أنفسهم تقريباً، لم نلت فرنسا أن سقطت بها.

كانت انكلترا وأمريكا تحربان ضد دكتاتور الماني اسمه هتلر في معركة واترلو الدورية، بونيس آيرس انجبت (روسلس) آخر في حوالي عام ١٩٤٦ كان يحمل

شبهها معقولا بقريتنا. في عام ١٩٥٥ هُتّ مقاطعة قرطبة لنجدتنا، كما أنحدتنا أنثري ريوس في القرن الماضي. لأحوال تسوء. روسيا تهيمن على العالم. أمريكا تتخطى بحرافة الديمقراطية، دون أن تعترم التحول إلى امبراطورية ومع كل يوم يمر يصبح بلدنا أكثر ريفية أكثر ريفية، وأكثر غروراً، وكأن عيبه معضتان، ولن يدهشي استبدال تعليم اللاتينية في المدارس بلغة «عواراني»*

كنت أعلم أنه فلما كان يصني لي، فقد انتابه الخوف مما هو مستحيل ولكنه مع ذلك واقع وأنا الذي لم أكن أباً يوماً ما شعرت بالحسب العارم لذلك الصبي البائس أكثر مما لو كان من صلبتي حقاً حين رأيته يتشتت بكتاب بين يديه سألته عنه فأجاب بحسب الزهو: «المسوسون» أو باعتقادي «الشياطين» لفيدور دوستويفسكي.

«لقد تلاشى من ذاكرتي وكيف وجدته؟»

ما كدت أقول ذلك حتى انتهت أن هذا اسؤال كان تطاولاً.

قال: «المعلم الروسي. لقد بعد إلى متاهة الروح السلامية أفضل من أي شخص آخر سواء». بدا لي هذا الاستناد إلى البلاغة برهانا على استعداده هدوءه. سألته عن الأعمال الأخرى التي قرأها للمعلم. فذكر اثنين أو ثلاثة كان بينها «المزدوج». ثم سألته ما إذا كان يمر أثناء قراءته بين الشخصيات، كما تميز بين شخصيات كونراد، وما إذا كان قد فكر في مواصلته دراسة أعمال دوستويفسكي. أجاب بشيء من الدهشة: «في الحقيقة لا».

سألته عما كان يكتبه، فقال أنه يؤلف مجموعة من القصائد ريمال سبأها «نراتيل حراء». وقال أنه يفكر تسجيها لإيقاعات أيضاً.

قلت: «ولم لا تستطيع أن تستشهد بالجيد من السابقين، القصائد الزرقاء لرويين داريو، والأغنية الرمادية لقيرلين».

شرح لي، وهو يتجاهل ما قلت، أن كتابه يحتمل بأخوة الانسان. فالشاعر في رماننا لا يستطيع أن يدير طهره لعصره. فكرت قليلاً وسألته ما إذا كان حقاً يشعر بالأخوة نحو الجميع، نحو متعهدي دهن الموتى، نحو سماعة البريد، ومن يفوضون

★ إحدى لغات قبائل الهند الحمر في أمريكا الجنوبية (المرجم)

★ من نواتل الكتب التي ألها بورخس والتي لم نشر أبداً هو ديوان بهم مجموعة قصائد متفرقة تتنمى بالثورة الروسية قام بجمع بعض هذه القصائد المتفرقة «كير مودي بوري»

في أعماق البحار، ومن عاشوا فيها لا يخصص من الطرقات ومن لا صوت لهم . فأجاب بأن كتابه يتناول الجمهور الأعظم من المضطهدين والمضطهدين .

قلت : «إن جمهورك من المضطهدين والمضطهدين ليس سوى نجرير . فلا يوجد سوى الافراد، إذا كان ثمة من يوجد . «وانسان الأمس غير إنسان اليوم» - كما قال احد الإغريق - وربما كنا نحن اجالس على هذا المقعد في جيف أو كامبريج دليلاً على ذلك» .

الأعمال المشهودة لا تحتاج الى عبارات مشهودة، إلا في الصفحات النقية من كتب التاريخ الصارمة . ففي لحظة النزاع الاخير يحاول الانسان أن يستعيد صورة انطبعت في ذهنه منذ الطفولة . وحين يدخل الجنود في معركة فإنهم يتحدثون عن الرجل أو عن عريفهم . لقد كان وصعنا فريداً، وبصراحة لم نكن مهياين له . فقد تحدثنا عن الأدب، وأخشى أنني لم أزد على ما أقوله للصحيحين في العادة، كان «أنا الآخر» يؤمن باختراع إستعدادات جديدة أو اكتشافها، فيما كنت أؤمن بتلك الاستعارات التي تحمل شيها حبيبا واضحا، الاستعارات التي ارتصاها خيالنا سلفاً: الشيخوخة، والعروب، الأحلام والحياة، إنسياب الزمن والمياه . طرحت عليه هذا لرأي، الذي سيرضه في كتاب بعد سنين . لم يكن يصغي إلي تماماً، فجأة قال : «لو كنت أنت أنا، فكيف تفسر سياارك لحقيقة انك التفتيت بمن أخبرك عام ١٩١٨، أنه كان بورخيس أيضاً؟»

لم أفكر في هذه الصعوبة من قبل . فأجبت بغير قناعة :

«ربما كان حديثا غريبا الى حد أنني فضلت نسيانه»

خامر بأسؤال على استحياء :

«كيف حال ذاكرتك؟»

أدركت أن رجلا تيف على السبعين هو رجل مقنن بالنسبة لشباب لم يبلغ العشرين . قلت : «انها تشارف على النسيان، لكنها ما تزال تجد ما يراودها أن تجد . إنني أقرسُ الإنكليزية القديمة ولست في آخر السلم» .

وامتدنا الحوار، حتى تجاوز حدود الحلم، ومجأة حطرت لي فكرة، قلت : «أستطيع أن أبرهن في الحال أنك لا تحلم بي . أصح جيدا الى هذا البيت الذي لم نقرأه البتة على حد علمي :

الهيدرا الكونية تتلوى بجسد تغطيه السحرم* .

شعرتُ بالرهبة المرعبة التي انتابته. كرّر البيت بصوتٍ خفيض متذوقاً ألق كلمة. ردّد:

«صحيح. لن أقدر على كتابة بيت كهذا».

لقد وُحِدَ بيسا فكتور هيجو

وانني لا أتذكر الآن أنه كان قد استشهد قبل ذلك بقطعة لويتان يتذكرها الشاعر لبنة قصاها على البحر، وكان سعيداً بحى. وعلقت عليها: «إذا كان ويتان يحفل بتلك الليلة، فذلك لأنه تماها ولم تحدث، فهذه القصيدة تدو تعبيراً عن حنين لا سرداً لحدث»

حلق بي وعرأ فاه ثم هتف: «أنت لا تعرفه. ويتان لا يكذب».

إن نصف قرن لا يتقضي عبثاً. لقد أدركت من خلال نقاشنا عن الناس والقراءات المتنوعة، وأخوافنا المختلفة أننا غير قادرين على فهم بعضنا بعضاً. فقد كما متشابهين جداً، ومختلفين جداً. لم نتمكن من حداث بعضنا بما جعل الحوار بيننا صعباً. كان كلانا نسخة كاريكاتيرية للآخر. وكان مستحيلنا علينا أن نستمّر فترة أطول. وامتنعنى عليّ إسداء النصح له، ذلك أنه وبطريقة لا يمكن تجنبها كان مقدراً له أن يصبح الشخص الذي هو أنا.

وعلى حين غرة، تذكرت واحداً من حيالات كولردج. شخص ما يعلم بأنه يفرم برحلة الى الجنة، فتقدم له زهرة. وفي اللحظة يجد الزهرة في يده. فخطري أن أقوم بالحيلولة ذاتها.

قلت: «اسمع هل معك نقود؟»

أجاب: «نعم لدي حوالي عشرين فرنكاً. لقد دعوت سيمون جيشلنسكي الى مطعم (التمساح) الليلة».

«أحبر سيمون أنه سيمارس الطب في كاروج، وأنه سيجمع في عمله. والآن أعطني قطعة نقود».

أخرج ثلاث قطع فضية كبيرة وبعض لقطع الصميرة. ودون فهم منه قدم لي قطعة نقد من الفئة الأولى وأعطيته واحداً من الدولارات الأمريكية ذات المصموم المتساوية والقيم المتفاوتة جداً. تفحصها باهتمام بالغ.

قال بصوت مرتفع: «لا يمكن إنها تحمل تاريخ ١٩٦٤*». هذه معجزة والمعجز مخيف. لا بد أن جهود بحث لعازر ارتعبوا.

فكرت في نفسي أننا لم نغير البتة. دائماً الرجوع الى*الكنب، مرق الورقة النقدية، ووضع القطع المعدنية في حبيه. وقررت أنا أن أرمي قطعتي الى النهر. وكان على قرص القرص العضي لكبير لقطعة القود، وهو يتلاشى في النهر المهي، أن يضيء على قصتي ألفاً حياً. لكن سوء الحظ لم يرد ذلك. قلت له أن غبر الطبيعي، إذا تكرر أكثر من مرة لا يعود مربعاً. واقتربت أن نلتقي في اليوم التالي، على المقعد نفسه الموجود في زماير ومكانين مختصين وافق في الحال. ودون أن يظنل ساعته قال انه تأخر. كلانا كان كادياً. وكان كلانا يعرف كذب الآخر أخبرته أن أحدهم سيأتي ليأخذني.

قال: «يأتي ليأخذك؟».

«نعم حين تطلع عمري، ستفقد بعرك تقريباً. ستري الألوان صفراء والأصواء، والظلال، لا تخف. إن العمى التدريجي ليس مأساة. إنه كفى سيف بطيء».

إفترقا دون أن تتصافح. في اليوم التالي لم أحضر، ولا بد أن الآخر لم يحضر أيضاً. فكرت كثيراً في ذلك اللقاء الذي لم أروه لأحد. واعتقدت أنني وجدت المبتاح كان اللقاء حقيقياً. أم الآخر فكان يحلم، عندما تجاور معي وهذا ما يفسر نسيانه لي. أما أنا فقد تحدثت معه في البقطة وما تزال ذكره تنغصني. لقد حلم بي الآخر، ولكنه لم يحلم بي تماماً. لقد حلم وهذا ما أدركه الآن، بالتاريخ المكتوب على طهر الدولار.

* «حور هذه الملاحظة التي أوردها الكاتب عن العملات الورقية الأميركية (الدولارات) جرى حور في مدريد حيث أخبرته أن ملاحظته الأولى حور تاريخ الاصدار صحيحة وذلك لأن العملات الورقية الأميركية تحمل تاريخ الاصدار، وأن الخطأ وقع فيها بعد من حلال الدين المعوي بعدم وجود تاريخ الاصدار لم يباحاً نورجيس هذا الاكتشاف وحاول اقناعي ان الامر كله كان مجرد دعابة عامصة، وأنه اراد من حلال هذه القصة مرح الحلم بالواقع» عن (ماركوس ريكاردو نارباتو) (المترجم)

أولريكا

ستكون هذه القصة وفية للحقيقة أو على أية حال وفية لما أتذكره من الحفيفة، وكلا الأمرين واحد. لقد جرت أحداثها قبل فترة وجيزة ولكنني اعلم ان العادة الأدبية تعني إحداث التفاصيل الظرفية والتوكيد على ما يحتاج الى توكيد. إنني أريد أن أقدم صورة عن لقائي بـ «أولريكا» (التي لم أعرف لقها، وربما لن أعرفه أبداً)، في مدينة يورك. وستشمل هذه القصة على ليلة واحدة وصباح واحد فقط.

قد يكون من السهل القول بأنني رأيتها للمرة الأولى عند «الأخوات الخمس» في «يورك»، ذات السواقد الملطخة الزحاج، التي لا تعكس صورة أحد. ولكن الحقيقة أننا التقينا في ردهة صغيرة في لتزل الشمالي خارج أسوار المدينة. كنا عدة أشخاص وقد أدارت أولريكا ظهرها لنا. قدّم أحدهم لها شرباً فرفضته.

قالت: «إنني أنثى، ولا أميل الى تقليد الرجال، فأنا أكره تبخهم وكحولهم». كانت ملاحظتها تحاول أن تكون ذكية. وخمنت انها لم تكن المرة الأولى التي تنطق فيها بهذه الملاحظة، ولكنني اكتشفت فيما بعد أنها ليست إحدى صفاتها الشخصية فما نقوله لا يشبهها بالضرورة. ذكرت أنها وصلت المتحف متأخرة، ولكنهم سمحوا لها بالدخول عندما علموا أنها نرويجية.

علق أحد الحاضرين: «ليست هذه المرة الأولى التي يدخل فيها السويديون الى يورك».

ردت: «هذا صحيح. فقد كانت إنكلترا ذات مرة لنا، ولكننا فقدناها، إذا كان لأحد أن يمتلك شيئاً أو يضيعه»

وهنا نظرت إليها. ثمة بيت شعر لبلبك يتحدث فيه عن فتيات مجبولات من لجين معتدل، أو ذهب غاضب. أما أولريكا فقد كانت الذهب والاعتدال معاً

كانت هيفاء طويلة، سلامح حادة، وعيون رمادية. لقد أسرني وجهها أكثر مما أسرني هبتها الموحية سر هاديء. كانت نتسم بيسر، وبذت ابتسامتها تبعدها عن الآخرين. وكانت تشع بالسواد، وهو ليس غريب على أهل الشمال الذين يحاولون أن يغمموا ألوان البيئة المطفأة بألوان حيوية. كانت تتحدث الانكليزية بطلاقة، محاولة أن تجهر بالرءاءات بنعومة. لقد اكتشفت هذه لأشياء ساندريخ، إذ لست مرصداً جيداً.

تعرفنا. وقلت له أنني كنت أستاذاً في جامعة أندر في بوغوتا. وأوصحت ما أنني كنت كولومبياً.

سألني بأسلوب تأملي. «ما معنى أن تكون كولومبياً؟»

أجبت: «لا أعرف، إنها مسألة معتقد».

فقلت: «مثلما تكون نرويجياً»

هذا كل ما أتذكره مما قبل تلك الليلة.

في اليوم التالي نزلت الى غرفة الطعام مكرراً. ومن خلال لناقذة رأيت أن الثلج كان قد تساقط بغزارة. لم يكن ثمة أحد سواي. فدعيتي أولريكا الى طاولتها. وأخبرتني أنها تحب أن تخرج للتحوال وحيدة: فتذكرت واحدة من نكت شونهور وقلت:

«وكذلك أنا. بإمكاننا أن نخرج سوية».

حرحنا من النزول، ومشينا فوق الثلج المتساقط حديثاً. ولم يكن ثمة أمة، فافترحت أن نذهب الى «ثورغيت» على بعد بضعة أميال من النهر. كنت أعرف أنني قد بدأت بحب أولريكا، فرغمت أن أكون وحيداً معها.

ثم بفتة سمعت عواء دئب بعيد. لم أسمع قبل ذلك ذئباً يعوي، ولكنني عرفت أنه كان ذئباً. عبر أن أولريكا مقيت رائقة. وبعد فترة، كم لو أنها تفكر بصوت عالٍ، قالت: «لقد هزتي السيوف القليلة البائسة التي رأيناها أمس في يورك ميشتر، أكثر مما هزتي السعس العظيمة في متحف أوسدو».

لقد تقاطعت طرقنا. فقد كانت أولريكا، ذلك المساء، تريد أن نواصل رحلتها الى لندن، وأما الى أدبرة.

قالت لي: «في شارع أكسفورد، سأتبع خطي «دي كويسبي» بحثاً عن حبيبته «آن» الضائعة في زحمة لندن».



رددت : «لقد نوبتني كويس من البحث عنها . أما أنا فلن أكف عن البحث ما دمت حياً»

قالت أولريك بصوت حمض : «رَبِّمَا وجدتها» .
أدركت أن شيئاً غير متوقع لم يكن محرماً عليّ ، فقبلتها في العنق والمعين .
سحت نفسها ببيات ولكن بلطف وقالت : «سأكون لك في نزل ثورغيت . وحتى ذلك الحين أرجو منك أن لا تلمسني . فذلك أفضل» .

قبلت ، فالتفت بالنساء لأعرب بقي وحيداً طوال سنوات هبة عبر منوعة من النساء ، وللمعجزة الحق في فرض شروطها . عدت بأفكاري إلى أيام شبابي الأولى في بوبايان وإلى فتاة في تكساس هيفاء وبجيلة جماء أولريكا وهيها ، كانت مرة قد أنكرت حبها لي .

لم أرتكب خطأ أن أسأل أولريكا ما إذا كانت تحبني . فقد كنت أعلم أنني لست حبها الأول ولم أكون الأخير . هذه المغامرة التي ربا ستكون الأخيرة بالنسبة لي ، لا بد أنها واحدة من معامرات عديدة لتلميذه إيس المتألقة وإحازمة . ونمسا يبدأ بد

قلت : «كل ما أراه يبدو لي حلماً ، وأنا لا أحلم أندأ» .
أحابت : «مثل ذلك الملك الذي لم يحلم ، حتى نومه أحد السحرة في زريبة خازيره» . ثم أضافت :

«إسمع ، ثمة طائر سيغي» .
بعد لحظة أو لحظتين سمعنا أغنية الطائر .
قلت : «في هذه المنطقة يزعم الناس أن من يرشك على الموت يقرأ المستقل» .
قالت : «وأنا على وشك الموت» .

نظرت إليها بدهشة وموت : «فلنذهب من وسط الغابة . لنصل ثورغيت أسرع»

قالت : «الغابة خطيرة» .
فواصلنا المشي سحابة المناطق المقفرة .
هممت : «وددت لو بقيت هذه اللحظة إلى الأبد» .
قالت : «إلى الأبد» . كلمة محرمة على الرجال . ولكي تقلل من تأثير هذه العبارة فقد طلبت مني أن أعيد على سمعها إسمي الذي لم تسمعه جيد .
قلت : «حافير أوتالودا» .

حاولت أن تلفظه ولم تتمكن . فشلت أنا أيضاً في لفظ إسم أولريكا .
قالت مبتسمة : «سأسميك سيفورد» .
أجبت : «لو كنت سيفورد، لكنت أنت برميلد» .
فتألمت بخطاها .

سألتها : «هل تعرفين الأسطورة الأيسلندية» .
قالت : «بالطبع تلك لقصة المأساوية التي أفسدها الألمان بـ «النيبلونغ» .
لم أرد أن أثير المسألة مع أولريكا . فسألتها :
«برميلد، تمشين كما لو أنك راغبة أن يفصل بيننا سيف» .

وفجأة ترقفنا بزواء النزول . لم يدعيني انه كالأول كان مدعى النزول الشبالي . من
أعلى السلم نادتن أولريكا : «هل سمعت عواء الذئب؟ لم يعد في انكلترا فئاب .
أسرع» .

عند صعودي الى الطابق الأعلى لاحظت أن الجدران مزينة بورق على طريقة
وليم موريس بالأحمر الغامق وتصميم لفاكهة وطيور . دخلت أولريكا الى الغرفة .
كانت الغرفة المظلمة واطئة السقف ، وقد انعكست صورة السرير في مرآة معتمة
ودكرني الخشب الصقيل بعدسة القراءة بالكتاب المقدس . ألقت أولريكا ما عليها
من ثياب . ودعنتني بإسمي الحقيقى : خافير . شعرت أن الثلج يتساقط أسرع من
ذئ قبل فاختصت المرايا والأثاث . ولم يعد بيننا سيف . تطاير الزمن كالرمال . وفي
ظلمة عشرات القرون تدفق الحب ، وللمرة الأولى والأخيرة امتلكت صورة أولريكا .

بونيس آيرس ١٩٥٥

إسمي اليخاندرو فيري . وربما كان فيه رنين عسكري ، لكن لا بريس المجده ، ولا ظل المقدوني العظيم - والكلمات هنا بشعر «الأعمدة الرخامية» الذي شرمني بصداقته - له أية صلة بالرجل المغمور تقريباً الذي يكتب هذه السطور في الطابق الأعلى من فندق في شارع سانتياغو ديل أسنبرو ، في جنوب ما من المدينة لم يعد جنوباً خلال بضعة أيام سأطوي الحادية والسبعين أو الثانية والسبعين ، وما زلت أدرس اللغة الأنكليزية لحفنة من التلاميذ . ويدافع التردد أو اللامبالاة أو لأي سبب آخر لم أتزوج حتى الآن وأعيش وحيداً . إنَّ الوحدة لا تحيفني ، وكفى بالحياة صعوبة أن تحتل نفسك وعاداتك . إنني أدرك أنَّ العمر يصرم ، وآية ذلك أن الدع الجديدة لا تسري ولا تشغلني ، ربَّما لأنني أشعر أنها لا تحمل جديداً من حيث الجوهر وأنها ليست أكثر من تنويعات خجولة وعندما كنت شياً كنت مولعاً بمشاهد الغروب ، واحياء الفقراء المكتظة ، والتجاسة ، وما إني الآن أفضل الصباحات ، ومراكز المدن ، والدعة . أنا لا أمثل دور هامست فقد أصبحت عضواً في الحزب المحافظ وفي نادي للشطرنج أحضره في العادة كمتفرج أحياناً أكون متفرجاً شارد الذهن . ومن كان ذا حب استطلاع فقد تقع عينه في ركن منزو من المكتبة الوطنية في شارع مكسيكو على نسخة من كتابي «درسة موجزة للغة التحليلية عد جون ولكتز» . وهو عمل بحاجة ماسة الى طعة جديدة سواء لتصحيح أخطائه الكثيرة أو لتفليلها . وقد قيل لي أنَّ مدير المكتبة الجديد رحل أدب كرَّس نفسه لدراسة اللغات القديمة (وكان اللغات الحديثة غير متخلّفة بما يكفي) ، وللتمجيد الغوغائي لبونيس

آيرس متخيلة من محبي العراقي بالسكاكين . ما همي ان اقبله ابداً . لقد جئت الى المدينة في ١٨٩٩ ، وقد اتيج لي مرة واحدة فقط أن ألتقي وجهها لوجه بأحد المتعاطفين بالسكاكين أو بمس ذاع صيته على أنه كذلك . وسأروي هذا فيما بعد عندما نجيء المناسبة .

فلت انني أعيش وحيداً ، ومنذ عدة أمام أخبرني جارٌ نزير ، وقد سمعني أتحدث عن فيرمين أيعورين أنه مات في «موتاديل أسني» .

أحزني موت هذا الرجل الذي لم يكن صديقاً لي بلزوة حراً لا مزيد عليه أعرف أنني وحيد ، وأعرف أنني الشخص الوحيد في العالم كله الذي يحتفظ بالحدث السري «المجلس» لنذي لا أستطيع أن أبوح بذكره لأحد . إنني آخر أعضاء المجلس ولا ريب أن جميع الناس أعضاء في المجلس ، فليس على الأرض من ليس عضواً فيه ، ولكنني أعرف أنني عضو من نوع آخر . أعرف ذلك وهو ما جعلني أنأى عن زملاء لا حصر لهم في الحاضر والمستقبل .

لا أنكر أننا أقسمنا في السابع من شباط ١٩٠٤ ما مقدس ما عندما (هل يوجد مقدس على الأرض أو هل يوجد ما ليس بمقدس؟) أن لا نفصح عن تاريخ المجلس . ولكن لا أنكر أيضاً أن حتي ذلك القسم هو أيضاً جزء من المجلس وفي هذا التعبير الأخير ما يكفي من الغموض ، لكنه قد يكون مثاراً لفضول قرائي . على أية حال ان المهمة التي أخذت على عاتقي القيام بها ليست سهلة . فلم يسبق لي أن جربت من القصة حتى لو على شكل رسائل - وما هو أهم أن القصة نفسها لا يمكن تصديقها . إن قلم «خوريه فرنانديز أيرالا» المؤلف المنسي بغير وجه حق لكتاب «الأعمدة الرخامية» هو الشخص الذي يتوجه اليه هذا لعمل ، ولكن الألوان فات . لن أزوّر الوقائع الحقيقية من عمد ، رغم أنني أرى سلعاً أن كسلي وعدم كفاءتي سيؤديان بي الى الخطأ مراراً .

ليست للتواريخ الدقيقة قيمة ، فلعل مرة أخرى أنني حثت من «سانتافي» بلدي الأصلي عام ١٨٩٩ . ولم أعد الى هناك أبداً ، فقد تعودت على بونس آيرس ، المدينة التي لم أروع بها ، كما تعود المرء على جسده أو على مرض عضال . وبدون أن أبالي أعلم أنني ساموت قريباً ولكن علي أن أمسك نفسي عن هذه الاستطرادات وأن أواصل رواية هذه القصة

إن السنين لا تغير أنفسنا التي فطرنا عليها . إذا كان لأحد نفس فطر عليها كان الباعث الذي قادني ذات ليلة الى «مجلس العالم» هو الباعث ذاته الذي قادني

قبل ذلك الى العمل في هيئة تحرير « آخر ساعة Juma Hora ». فالتعمل في لصحافة بالنسبة لصبي قروي معدم كان قدراً رومانساً رومانسية العمل مع رعاة القمر بالنسبة لصبي من المدينة. ولست أشعر بالحجل لأنني أردت مرة أن أكون صحفياً، وهي وظيفة تدولي متذلة الآن. وأتذكر أنني سمعت زميلي «فيرناندير ايرالا» يقول أن الصحفيين يكتبون للنسيان، لكن طموحه أن يكتب للزمن وللذكرى. لقد نحت (كانت هذه الكلمة كثيرة الاستعمال حينئذ) بعض السونيتات المكتملة التي ظهرت فيها بعد مع بعض اللمسات الأخيرة في صفحات «الاعمدة الرخامية»

لا أتذكر بالضبط المرة الأولى التي سمعت فيها اسم المجلس ربما كانت في نفس ذلك المساء الذي دفع لي فيه أمين الصندوق راتب أول شهر ولكي احتفل باحتضان بويس آيرس لي، اقترحت على ايرالا أن تمنحني معاً. فاعتذر قائلاً أنه لا يستطيع أن يتغيب عن المجلس وفهمت في الحال أنه لا يشير إلى أحد الماني المقفة المعجمة على أعتاب شارع ياهله الأسبان، بل الى شيء أكثر سرية وأبعد أهمية. كان بعض الناس يتحدثون عن المجلس بازدياد معلن، وآخرون بأصوات خفيفة، وآخرون بحذر أو فضول، وليس لأي مهم - على ما أظن - أية فكرة عنه. وبعد عدة أسابيع دعاني ايرالا للذهاب برفقته.

لا بد أنها كانت التاسعة أو لعاشرة مساءً. في طريقنا وسح في السيارة، أخبرني أن هذه اللقاءات التحضيرية تعقد كل سبت، وأن دون اليخاندرو غلينكوي، رئيس المجلس، أيدى إستحسانه لخصوري بعد أن سمع إسمي. ذهبا الى كافيتيريا «القمديل». وكان خمسة عشر أو عشرون عضواً من أعضاء المجلس ينتظرون امام طاولة طويلة، ولست متأكداً هل كانت هناك منصة أم أن ذاكرني أضافتها على المشهد. وفي الحال تبيت الرئيس الذي لم تقع عليه عينا من قبل. كان دون اليخاندرو إنساناً مهذباً، وكبيراً في السن، بجين عريض، وشعر خفيف، وعميق رمادية ولحية رمادية تميل الى الاحمرار. كنت أراه دائماً لاساً كثرة صوفية سوداء، وقد عمد يديه على رأس خيزرانتته. كان قوياً وطويلاً. وإلى يساره كان يجلس رجل أصغر سناً ذو شعر أحر أهدأ. وقد أوحى لي لون لحته الصف بالنار، بينما أوحى لي لون لحية غلينكوي بأوراق الخريف وإلى يمينه كان شاب طويل الوجه مجين ضيق بصورة غير اعتيادية سلاسل كاهها ملابس غندور. طلب الجميع قهوة

فيما طلب قلة أمستين^(١) وقد لمت انتباهي حضور امرأة، كنت المرأة الوحيدة بين هذا العدد الكبير من الرجال. وعند النهاية الأخرى للطاولة جلس صبي في حوالي العاشرة، وكان بلبس ملابس البحارة، ولم يمض وقت طويل حتى عط في النوم. وكان هناك رجل دين مروتاني، وهو ديان لا تخطئها العين، ورجلي يشد منديلا حريرياً أبيض حول رقبته، وكانت ملابسه شديدة الصيق وكأنه قاطع طريق. كنت أطباق الشكولاته أمام الرجعي والولد. أما الآخرون فلا أتذكر منهم سوى السيد مارسيلو ديل مازو، وهو رجل ذو تهذيب جم، ونقاش عذب، ولم أراه بعد ذلك أبداً (ما تزال معي صورة شاحبة سبته التصوير لو حد من تلك اللقاءات، لكسي لن أنشرها لأن الملبس والشعر الطويل والشوارب التي كانت سائدة في تلك لفترة ستسبغ على الصورة منظر السحرية بل الرائثة)

تمل كل جماعة إلى خلق لمحاتها وطقوسها، والمجلس الذي كان دائماً طامع حلبي، بدا كأنها أراد من أعضائه أن يكتشفوا - عندما سنج لهم الفرصة - هدفه الحقيقي بل حتى أسماء أعضائه والفاهيم. ولم يمض بي الوقت حتى أدركت أنني ملزم بعدم السؤال. فسمعت نفسي حتى من سؤال فرناندير أيرالا، الذي لم يخبرني بشيء أبداً. ولم أنفب في سبت ما. وقد توصلت إلى هذا الفهم بعد أن انقضى شهر كامل أو شهران. ومنذ الاجتماع الثاني فصاعداً، كان جاري، دونالد ودين، وهو مهندس في سكك حديد الجنوب، كان عليه أن يعطيني دروساً في اللغة الانكليزية كان دون البحاندرو يتحدث قليلاً جداً، ولم يكن الآخرون ليتوجهوا إليه بالكلام، غير أنني شعرت أن كماتهم كانت تعنيه، وأنهم جميعاً كانوا يبتغون رضاه. وكانت إشارة واحدة من يده البطيئة كافية لتغيير مجرى الموضوع. وقليلًا قليلًا عرفت أن الرجل أحمر الشعر على يساره يحمل الاسم الغريب «تيريل»، أتذكر مظهره المش الذي هو صفة ملازمة لبعض الأشخاص الطوال القائمة كما لو أن قاماتهم تسبب لهم الدوران مما يدفعهم إلى الانحناء. وكانت يده، على ما أذكر، تعبت دائماً بوضلة بحاسية يضعها بين يمينه وأخرى على الطاولة. وفي أواخر عام ١٩١٤ قتل حين كان بين أفراد المشاة في كتبية إيرلندية. أما الشخص الذي يجلس على يمينه باستمرار، وكان شاباً ذا جبين صيق، فكان «فريمين أيعورين» إس أح الرئيس وساكشف لنقاب دفعة واحدة عما عرفته شيئاً فشيئاً، دون أن أؤمن بأساليب الواقعية (التي هي

(١) abenithe شراب سكر (المورد)

أكثر المدارس تلفيقاً إذ، كان ثمة مدرسة كهذه). سلفاً أريد أن أدكر القارىء بوضعي في ذلك الوقت. كنت صبيّاً معدماً من كاسبيلدا، إس فلاحين، جاء الى العاصمة ووجد نفسه فجأة - هذا ما شعرت به - في قلب موينس آيرس، ورتباً (من يدري؟) في قلب العالم كله. والآن بعد نصف قرن ما أزال أشعر بتلك اللحظات المحيرة التي قد لا تكون الأخيرة.

ها هي الوقائع، وسأرويها بقدر ما أستطيع من إيجاز. كان دون اليخاندرو غلينكوي الرئيس، مزارعاً أوروغوايً ومالكاً لمساحة شاسعة من الأرض التي تصل الى حدود البرازيل. كان أبوه أبردياً^(١) أصيلاً، كَوْن نفسه على هذه القارة في منتصف القرن الماضي. وقد جلب معه المئات من الكتب، وهي على ما أظن الكتب الوحيدة التي قرأها دون اليخاندرو في حياته، (إنني أتحدث عن هذه الكتب التي تحسنتها يديّ لأن جذور قصتي تكمن في أحدها) ترك غلينكوي الأب قبل أن يموت يماً وبناتاً. وقد صار إيه فيها بعد رئيس المجلس، وتزوجت الابنة من ليغورين وكانت والدة فيرين. وفي فترة ما تلقى دون اليخاندرو الى الانضمام «للمجلس القومي الأوروغواي». لكن الزعماء السياسيين وقفوا في طريقه. فقرر في سورة غضبه أن يؤسس «مجلساً» آخر على نطاق أوسع. وتذكر أنه قرأ في الصفحات البركانية لـ «كارلايل» قدر «أنا خاريسيس كلوتز» المتعبد لإلاهة «العقل» والذي تحدث صم جمعية باريس على رأس ستة وثلاثين شخصاً أجنبياً كما لو كان «الناطق باسم البشرية». وقد دفع هذا المثال دون اليخاندرو الى التفكير بالدعوة لمجلس للعالم يمثل الناس جميعاً من الأمم جميعاً وعقدت الاجتماعات التحضيرية في كاريو القنديل. وقد تقرر عقد الافتتاح الرسمي في مزرعة دون اليخاندرو بعد حوالي أربع سنوات. ومثل غيره من أهالي أرغواي كان دون اليخاندرو معتوفاً ببوينس آيرس، وإن لم يكن معجباً ببطل الأرجنتين القومي الآن «أرنتاس». لكنه مع ذلك قررّ أخيراً أن يلتقي المجلس في بلده هو. ومن الغريب أن تنقضي فترة التخطيط التي استمرت أربع سنوات بانقباض يكاد يكون سحرياً.

في البداية كان يُدفع لنا مبلغ ضئيل كل يوم، لكن الحماس الذي ألهبنا دفع فونانديز إيرالا - الذي كان معدماً مثلي - الى رفض مبلغه، ثم تابعه جميعاً، وكان ذلك إجراءً سليماً، حيث أنه ساعدنا على التمييز بين الغث والسمين، فقلّ عدد

الأعضاء، ولم ينس لا المؤمنون.

وكان الوحيد الذي أعطي له عمل بأجر هو السكرتيرة «نورا أيرفخورد» التي كنت تفتقر الى وسائل الدعم المادي الأخرى، والتي كان عملها في نفس الوقت شاقاً، فتأسيس منظمة ذات نشاط عالمي ليس بالأمر الهين. كانت الرسائل تروح ونجيء، وكذلك البرقيات. وقد كتب لنا وود من بيرو والدنمارك والهند. وكتب لنا موليفي ان افتقار بلاده الى ميناء بطل على البحر لا بد أن يكون الموضوع الرئيسي لاحتجاجاتنا الأولى. وعلق تويرل الذي كان يتمتع بذهنية فمتاز ببعد النظر، أن المجلس تورط بمشكلة ذات طبيعة فلسفية فالتخطيط لمجلس يمثل الناس جميعاً مثل تثبيت العدد الدقيق للنفاذح الأفلاطونية، وهو إشكال استهلك حيال المفكرين على مدى قرون. واقترح سويرل بغير شطط أن لا يمثل دون اليخاندرو غليسنكوي أصحاب المواشي فقط بل الأزرعواوين جميعاً، وروود الإنسانية العظام أيضاً، وذوي النحى الحمراء والجالسين على الكراسي الوثيرة. كانت نورا أيرفخورد نرويجية فهل ستمثل السكرتيرات والأمنوة النرويجية أو عبارة أوضح النساء الجميلات جميعاً؟ هل في وسع مهندس واحد أن يمثل المهندسين جميعاً، بما في ذلك مهندسي نيوزلندة؟ وفي تلك اللحظة - فيما أظن - قاطعه فيرمين «ويمثل فيري «العريغوز»» واستغرق في سبل من الضحك

نظر ليه دون اليخاندرو نظرة قاسية وقال بصوت منتظم: «السيد فيري يمثل المهاجرين العاملين على بناء هذا البلد».

لم يكن فيرمين أيغورين بحتمل رأي، كان مزهواً بعدة أشياء، في كونه أورغزواياً، في انحدره من عائلة عريقة، في اجتذابه النساء، في اختياره لخياط عالي الكلفة، ثم والله أعلم، في أصله الساسكي - وهم ناس لم يملحوا في شيء عبر التاريخ سوى حلب الأبقار.

ثم وقع حادث تافه جداً قصي علينا بالعداوة بعد أحد الاجتماعات إقترح علينا أيغورين أن يذهب الى ماحور من مواخير شارع خوين. لم تحتذني الفكرة لكنني وافقت حتى لا أكون عرصة لسخرته. وذهب مع فرنانديز أيرالا. وفي الطريق إلى خارج البيت التقينا رجلاً ضخماً جداً دفعه أيغورين، الذي كان سكران قليلاً،

لقب احتفار بطلان في أمريكا اللاتينية على الناطقين بغير الإسبانية عامة وعلى رعايا الولايات المتحدة خاصة.

فاعترض طريقاً الغريب بسرعة قائلاً: «من أراد أن يذهب فليمرْ عبر هذه السكين».

أذكر وميض سكينه في ظلمة اممر. تراجع أيقورين خائفاً. ولم أكر وثاقاً من نفسي، لكن حقدي طغى على حوفي. ومددت يدي إلى إيطي وكأني سأسحب سلاحاً، وقلت بصوتٍ ثابت. «فلنستَوْ هذه المسألة في الشرع»
أجاب الغريب بصوتٍ مختلف هذه المرة: «هذا هو نوع الرجال الذي أحبه. إنما أردت اختبارك أيها الصديق».

صحك هذه المرة بتودد.

أجته: «إذن فهذا هو الصديق في رأيك». وسلك طريقاً نحى الثلاثة وتخلّمناه.

دخل الرجل إلى الماخور. وسمعت فيها بعد أن إسمه كان «ثاميا» أو «باريديس» أو شيئاً من هذا القبيل، وأنه كان مشهوراً بالعراك على لرصيف صفق في أيرالا، الذي بقي محتفظاً بهدوئه وقال بتأثر: «بيننا نحن الثلاثة يوجد جندي مسكيتي»^(١)
ولم يغفر لي فيرمين أيقورين مشاهدتي له وهو يتراجع.

أشعر أن قصتي تبدأ هنا فعلاً. أما الصفحات السابقة فلم تكن إلا عرضاً للظروب التي شاءتها المصادفة أو القدر لكي يقع الحدث الذي لا يصدق. الذي ربما كان الحدث الوحيد في حياتي. كان دون اليحاندرو غلينكوي في صدارة المجلس دائماً، ولكن خلال فترة من الزمن شعرت، ليس بعير رية أو دهشة أن الرئيس الحقيقي هو تويرل. كان هذا الشخص الفريد بشاربه الملتهب يتزلف لغلينكوي بل لفيرمين أيقورين أيضاً، ولكن بطريقة مبالغ فيها بحيث يظن الحضور بأنه يهزأ بالاثنتين حقاً، لذلك لم تتعرض أمانته لشبهة. وكان غلينكوي يعمل مأخوذاً بثروته الواسعة واكتشف تويرل أنه يكفي للحصول على شيء أن يبين أن تكاليفه تقع في متناول الموارد المالية للرئيس. وابتدأ الشك يساورني في أن إسم المجلس لم يكن أكثر من مصادفة. كان تويرل يقترح مناطق جديدة للتوسع، وكان دون اليحاندرو يوافق دائماً. وكان كمن يعيش في منتصف دائرة تكبر وتكبر أبداً. على سبيل المثال قال تويرل أن المجلس بحاجة إلى مكتبة مراجع، وشرع نيرشتاين الذي كان يعمل في مكتبة بمطالبتنا بأطالس خوستوس بيريس، وعدة موسوعات كبيرة

(١) musketeer جدي مسلح بمسكيت أو بندقية قديمة حاصة بجذ المشاة.

ابتداء من كتاب بليبي «التاريخ الطبيعي»، و «النظرات» لبوفيس حتى المناهات الممتعة (انني أعيد قراءة هذه الكلمات بصوت أيرالا) عند الموسوعيين الفرنسيين في عصر التنوير، والموسوعة البريطانية، وبيزلاروس، ولارسين، ومونتاني سيمون، وأتذكر كيف تحسست بيدي بعومة مجلدات موسوعة صينية بدت لي حروفها أكثر غموضاً من البقع على جلد نمر. ولن أقول هنا ما يجتثها لها المستقبل، ولست بأسف على ذلك.

كأن دون اليخاندرو كثير التوحد لنا أنا وفرناندوير، ربما لأننا الوحيدان اللذان لم نتملقه. فدعانا الى قضاء أيام في مزرعته «لاكاليديونيا» حيث يعمل عنده مجموعة من عمال البناء.

بعد نهاية رحلة نهرية طويلة في لباخرة وطوف خشبي، القينا عصا الترحال على ساحل الأورغواي. وكان علينا أن نقضي عدة ليال في حانات الريف المهذبة في «كوجيب نيغرا» ثم سلكتنا طريقاً محملين بمتاع خفيف، وقد بدا الريف لي أوسع وأكثر عرلة من المزرعة للصغيرة التي ولدت فيها.

ما أزال أحمل صورتين من المزرعة، الصورة التي جلبتها معي، والصورة التي رأتها عيناوي. عبثاً كنت أتحب وكأني في حلم، تشكيلة مستحيلة من سهول «سانتافي» المنبسطة ومحطة مياه بويس ايرس الفكتورية المبهرة. كانت «كاليديونيا» مبنية من اللبن، وذات سقف سرجية من القش والمركان مرصوفاً بالطابوق وكأنه مبني لامتحان طاقة الاسان على الاصطبار والحلد. كان سُمك الحيطان بقدر ياردة، والأبواب ضيقة. ولم يفكر أحد بزرع شجرة واحدة. وكانت الشمس تروق المكان بأشعتها من أول الشروق حتى آخر الغيب. كانت الزرائب من حجر، والمناشبة كثيرة، هزيلة وذات قرون، وأذيال الحبل تمتد حتى تلامس الأرض. ولأول مرة في حياتي تذوقت طعم اللحم المدبوح حديثاً. وجُلبت بعض أكياس السكويات. وبعد عدة أيام قال لي رئيس العمال أنه لم يذوق طعم الخبز في حياته. سال أيرالا عن الحثام فدلّه دون اليخاندرو بإشارة واسعة على البر كله. كانت ليلة مقمرة، وذهبت لأمدد ساقتي، وتعبجت أن نعامه كانت تراقب أيرالا

كد الحرّ لدي لم يفلح الليل في تبديده شديداً ولا يحمّل، حتى امتدحنا البرد جميعاً. وكانت الغرف واطئة السمفوف وكثيرة، وخالية من الأثاث في الغالب. وقد أعطينا واحدة بابها الى الجنوب، وفيها سريران ومزينة مع طشت وبريق فضين.

وكانت الأرضية ترابية.

وفي اليوم الثاني زرت المكتبة ومجلات «كارلايل»، فوجدت الكتب مهداة الى الناطق باسم البشرية «أنا حارسيس كلوتز» الذي أدى بي الى ذلك الصباح والى تلك الوحدة. بعد الفطور، الذي كان مثل العشاء، أرفنا دون اليخاندرو المبنى الذي في طور بناء. قطعنا مسافة ثلاثة أو أربعة أميال على ظهور الجياد في الفضاء المفتوح وتعرض أير لا الذي لم يكن يحسن ركوب الخيل لحادث، وعلق رئيس العمال بعبوس: «أنتم الأرجنتينيون تعرفون حقاً كيف تترجلون».

عن مسافة كان بإمكاننا أن نرى موقع البناء. كان نحو من عشرين رجلاً يعملون على بناء مدرج متداع. وأتذكر سلسلة المارح والسلام والصفوف الحجرية التي كانت السماء تتخللها.

أكثر من مرة حاولت أن أتحدث مع رعاة البقر لكن جهودي ذهبت هباء. فهم يعرفون على نحو ما أنهم كانوا مختلفين، وكانوا يستخدمون لغة أسبانية برازيلية مفخمة. وكان واضحاً أن الدم الهندي والدم الرنحي يجريان في عروقهم. كانوا قصار القامة وأقوياء البنية وفي لاكاليدونيا أصبحت رجلاً طويلاً، وهو شيء لم يحدث لي حتى ذلك الحين.

في الألعاب كانوا جميعاً يلفون أرجلهم بالـ «شيرياب» وقليل منهم يلبسون «بومباجا»^(١) فضفاضة وعريضة. وكان بهم القليل أو لم يكن فيهم شيء من الأبطال العليين في كتب هرنانديز أو كتب رافائيل أو بليغادو. وتحت تأثير كحول ليلة السبت كانوا يتحولون الى العنف بسهولة. ولم تكن بينهم أية امرأة، ولم أسمع شيئاً أبداً.

كنت مهتماً بالتغير الذي صار على دون اليخاندرو أكثر من اهتمامي برجال البلدان الحدودية هؤلاء. فقد عرفته في بويس أيرس شخصاً مرحباً ومتحفظاً، أما في كاليدونيا فقد صار، كأبيه من قبله، رعيم عصابة ذو وجه حهم. في صباح الاحاد كان يقرأ الكتاب المقدس للعمال الذين لم يكونوا يفهمون كلمة واحدة منه. وفي إحدى الليالي نقل لما رئيس العمال، وهو شاب حدث ورث عمله عن أبيه، أن أحد عمال النهار وأحد المساعدين الاعتياديين قد اشتبك في عراك بالسكاكين. مهض دون اليخاندرو يهدوء، وعندما وصل الى حلقة المتفرجين على العراك، صحت السلاح

(١) بومباجا: نوع من اسراويل الفضفاضة جداً من الاعلى والضيقة من الأسفل.

الذي يحمله معه دائماً وسلّمه الى رئيس العمال (الذي بدا لي دليلاً) ووقف بين السكاكين. وسمعتهم يأمرهم في الحال: «القوا بأسلحتكما أيها البولدان» وبفس الصوت الهادي أضاف «والآن تصافحا وكونا لصيفين فأنا لا أريد شجاراً ها» أطاعه الرجلان وفي اليوم التالي علمت أن دون اليحاندرو طرد رئيس العمال شعرت أن الوحدة تفرق بيني، وساورني الخوف من اني لن أعود الى بوميس يرس ونساءلت فيما إذا كان فرنانديز أيرالا يوجه المحاول نفسها. تحدثنا كثيراً عن الأرحتين، وما عسى أن يفعل عندما يعود. واشتغلت الى الأسود الحرة عند مدخل شارع «خوحي» قرب «دلازا ديل أونسه» والى سوء مشرب قديم في بعض أحياء المدينة. وليس الى مأوى الأليف وتعودت على ركوب الخيل والحري ها لمسافات طويلة وما لب أن تذكر مراراً رقتاء تعودت أن أسرجها بعسي في عصي أوليلة أو في أي وقت آخر، ربّما كنت في الدرايل ما دامت الخلود ليست أكثر من خط وصعت عليه علامات كبيرة الحجم كنت قد تعودت ألا أعد الأيام حينما أحبر دون اليحاندرو في مزار كغيره من النهارات. «سندهب الآن الى أسركنا للموم، بعداً سنخرج مع نروثة العجر».

ما إن عبرنا النهر، حتى شعرت بسعادة عامرة لأنني صرت قادراً على التفكير بلاكاليدوبا بحب.

واصلنا اجتماعات يوم السبت مرة أخرى، في الاحتياج الأول طلب نيرول حق الكلام. وقال ياراهيره البلاغية المعتادة أن مكتبة مجلس العالم لا يجب حصره بالمراجع فقط، وأن الأعمال الكلاسيكية للأهم واللغات جميعاً مستودع حقيقي للثقافة لا يمكن التناضي عنه. وقد قوبل الاقتراح بالاستحسان في الحال. وقبل فرنانديز أيرالا والدكتور أغناتير كروز، الذي كان مدرساً للغة اللاتينية، مهمة انتقاء النصوص المناسبة وتناقش نيرول مع نيرنشتاين حول بعض الأشياء

في تلك الأيام لم يكن ثمة أرجنتيني إلا وكانت باريس بوتوبياه. وربما كان أكثرنا حماسة فيرمين أيفورين، ويعلمه، لأسباب مختلفة تماماً فرناندين أيرالا. بالسبه لشاعر الأعمدة الرخمية كانت باريس فيرلين وليكونت دي ليزلي، بينما هي عند أيفورين نسخة معدلة من شارع حوبين. وأشت في أنه كان متفاهماً مع تورول. وفي اجتماع لاحق استمر نيرول عن اللغة التي يجب أن يستعملها أعضاء المجلس، وبحث إمكانية إرسال وفود الى لندن وباريس لجمع المعلومات. وقد وضع إسمي

أولاً متظاهراً بالراحة، ثم وضع إسم صديقه أيفورين. وكالمعتاد فقد وافق دون اليخاسرو.

أظن أنني كنت، أن وريين قد باشر بتعليمي للغة الانكليزية التي لا تنضب مقابل إعطائه عدة دروس باللغة الايطالية. وسرعان ما انتقلنا من النحر والتهارين المصطنعة عند المبتدئين، ووجدنا طريقنا مباشرة الى الشعر الذي تعتمد صيغته على نوع من الایجاز. وقد كان احتكاكي الأول باللغة التي كان لها أن تحملاً حياتي، «ترتيلة» ستيفسون الشجاعة. ثم جاءت لأعني القصصية التي أوحاها بريسي للقرن الثامن عشر المهيب. وقبل أن أرحل الى لندن بقليل، بهرتي سوربر، وهي تحربة جعلني أشك (وشعر بالذنب سبب ذلك) في سمو ابجر الاسكندري عند أوالا.

وصلت الى لندن مكرراً في كانون الثاني ١٩٠٢، واسبي لأتذكر الملمس الناعم للثلج المتساقط، الذي لم أراه من قبل، وشعرت له بالامتنان والحس الحظ فقد سافروا أنا وأيفورين، كل على انفراد واستقر في الحان في بيوت متواضع خلف المتحف البريطاني حيث كنت أدرس صباحاً وظهراً في المكتبة بحثاً عن لغة جديدة بأ تكون لغة مجلس العالم لم أغفل عن اللغات العالمية فاحصاً «الأسبرانتو»^(١) التي يصفها لوعونس بأنها «لغة غير متحيزة واقتصادية»، و«الغولابوك»^(٢) التي تحاول تصريف الأفعال والأسماء المنحدرة من أصل مشترك أن تستعيد من الامكنات اللغوية كافة. وقد وارت بين الحصح المؤارة والمهاصة لإحياء اللاتينية التي ما فتى. الحنين إليها يتجدد رغم نقصاء قرون عليها. وأمنت النظر في محص اللمعة التحليلية عند «جون ولكز» حيث يتم تعريف الكلمة في حروف تهجيتها. وكان أد لتقيت «ميانريس» تحت القة العالية في غرفة المصالعة للمرة الأولى.

إن المقصود من هذه الصمحات أن تكون تاريخاً عاماً لمجلس العالم وليس تاريخاً لاليحاندرو بريي. لكن الأول يتضمن الثاني، كما يتضمن بقية التواريخ الأخرى.

(١) لغة عالمية، وضعها ل رامبوه الأستاذ بجامعة وارشو عام ١٨٨٧. وقد اعتمدت مختلف اللغات العالمية حذراً لها وتمتاز بالساطة والمنطقية وسهولة التعلم، لكنها برغم ذلك لم يقدرها النحاح

(٢) لغة عالمية، وضعها الأسقف الألماني يوهن ماريس نشر عام ١٨٧٩، بالاعتماد على الانكليزية في لدرجة الأساس، والألمانية واللاتينية والفرنسية، وقد مات شيلر عام ١٩١٢ وسنوته تعرف الغولابوكيون.



كانت بياتريس طويلة وأنيقه بسيماه جميله ورأس دي شعر أحمر كان ينبغي أن يذكرني بشعر تويرل الطليل، ولكنه لم يذكرني به. لم تكن قد بلغت العشرين، وقد جاءت من إحدى المقاطعات الشمالية بدراسة الأدب في الجامعة. كانت خلعيتها متواضعة مثل. في ذلك الوقت كان الانتهاء إلى أرومة إيطالية في بونس آيرس أمراً مشيناً، أما في لندن فقد وجدت أن الانتهاء إلى إيطاليا يعني اتساعاً رومانسياً عند الكثير من الناس. وخلال عدة أسابيع أصبحنا عاشقين، وطلبت منها أن توافق على الزواج مني، لكن بياتريس فريست مثل نورا أيرفورد كانت من أتباع الإيمان الذي بشر به يسوع، ولم تكن ترغب في الارتباط بأحد. وقد تلفطت بها لم أجرؤ على البوح به. أيتها الليالي، أيتها الظلمة الدافئة المشتركة، أيها الحب الذي ينساب في الطفل كنهر سري، يا لحالة الوجد حيث يصير الواحد منا اثنين، يا لبراءة سعادتنا وصفائها، يا لاتحادنا معاً حين كنا نضيق أنفسنا لنصيح في الحلم، يا لتأشير الفجر التي تمهل وأنا أراقبها.

سبق أن دأمتني الحنين إلى الوطن عند الحدود البرازيلية، إلا أنه لم يكن كذلك في متاحف لندن الحمراء التي مسحتني الكثير من الأشياء. ورغم الذرائع التي كت أدبرها لتأخير رحيلي فقد كان عليّ أن أعود إلى الوطن عند نهاية السنة. واحتفلنا أنا وبياتريس بأعياد الميلاد معاً. وأكدت لها أن دون اليخاندرو سيدعوها للانضمام إلى المجلس، فأجابته بطريقة مهمة أنها كانت دائماً راعية في رياضة نصف الكرة الأرضية الجنوبي، وأن قريباً لها طبيباً قد أسوطن تسهانياً.

لم نرَ بياتريس أن تحب إلى الساحرة، كان الوداع في رأينا مشيراً جداً، كان مهرجاناً لا معنى له من التعاسة، وكانت تكره الإثارة. فافترقنا في المكتبة حيث التقينا في الشتاء الماضي. وقد تصرفنا جباناً عندما أثرت أن لا أتركها عنواني، لكي أتجنب عذاب انتظار الرسائل.

كنت أرى دائماً أن طرق العودة أقصر من طرق الذهاب، لكنّ عور الأطلسي داك، محملاً بالذكريات والانفعالات بدا طويلاً بصورة لا مثيل لها. لم يكن يزعجني شيء قدر ما يزعجني التكبر بأن بياتريس ستعيش حياتها بموازاة حياتي دقيقة فذقيقة وليلة فليلة. كتبت رسالة مطولة ثم مزقتها حين غادرنا مونتفيديو. وعندما وصلنا إلى الأرجنتين - وكان يوم خميس - كان أيرالا بانتظاري على الساحل. ذهبت إلى مستقري القديم في شارع شيلي، وقضينا ذلك اليوم واليوم الذي بعده سوية

بالحديث والتجوال طويلاً. أردت أن أسترده نوبس آيرس مرة أخرى. وكان مربحاً أن وجدت أن فيرمين أيفورين ما يزال في باريس، إذ عرفت أن عودتي قبله تعوض على نحو ما عن غيابي الطويل.

كان أيرالا مكشأً وكان فيرمين يدد مبالغ طائلة في أوروبا، وقد خالف أكثر من مرة أمر العودة إلى الوطن. كان عليا أن نتوقع مثل هذه لأشياء. وقد أزعجتني أنباء أخرى. فتورل رغم معارضة أيرالا وكرور، نسب بليبي الأصغر، وكان من رأيه أن ينس ثمة كتاب رديء لا يطوي على شيء جيد. واقترح صغفه عبر متحانسه لعدد كبير من كتب الصحافة، وثلاثة آلاف وأربعمئة نسخة من «دون كيشوت» بمختلف الطبعات، والأعمال الكاملة للجنرال ميرا، وأطروحات الدكتوراه، والكتب القديمة، والنشرات الخاصة، ورامح المسارح. كان يقول: كل واحد من هذه الكتب يشكل شهادة على ما يحدث، وآيته نيرشتاين. أما دون اليحاندرو فقد استحسن فعله «بعد ثلاثة أيام سبت راتقة» - كما يقول أيرالا - . واستقالت نورا أيرفخورد من وضعها كسكرتيرة، واسلم وظيفتها عضو جديد لإسمه كارلسكي، كان أداة لتورل. ابتدأ ركام الكتب بالارتفاع، دون أضاير أو هدرس، في الغرف الخلفية وفي قبو الخمر في بيت دون اليحاندرو وفي وقت مبكر من تموز قضى أيرالا أسبوعاً في كاليديونيا حيث أوقف البناءون عملهم وقد أوضح رئيس العمال في الاستجواب أن ذلك التوقف كان بسبب انتهاء العترة التي حددها رب العمل، وإنه كدت تنقصة أيام قليلة لينهي العمل.

في لندن كنت أعددت مسودة تقرير لا جدوى الآن من الإستمرار فيه. في تلك الجمعة، ذهبت لزيارة دون اليحاندرو وإعطائه نسخة مما كنت. وقد جاء معي فرنانديز أيرالا. كان ذلك في أول العصر، وقد هت الرياح الشالية الباردة على الباب. وفي البوابة الأمامية عند شارع ألسيا وقفت عربة حمل تحريها ثلاثة جياد، أتذكر أن الحمايل كانوا يقومون بتربيل الأحمال وتكريمها في الفناء الخلفي وكان تورل متعجباً وهو يصدر الأوامر هم. كان في البيت أيضاً نورا أيرفخورد وبرنشتاين وكرور ودونالد وريس، وكأهم يجسرون شيئاً، وبعض الأعضاء من المجلس. طوقتني نورا نذر عيها وقبلتي. وقد ذكرني ذلك العناق وتلك القبلة بأخريات. وتناول الزنجي يدي، طامح بالشعر والسعادة وقبلها

في إحدى الغرف، كان باب القبو مفتوحاً على مصراعيه وقد اختفت بعض

درجات السلم في ظلمته . وفحاة سمعنا وقع حطى . وقبل أن تقع عليه أحييت عروث
أنه دون اليخاندرو . لقد جاء عدواً في لأغلب .

كان صوته مختلفاً لم يكن صوت الرجل المهذب المتروي الذي يرأس جلسات
يوم السبت، ولا صوت ذلك المالك الإقطاعي الذي أسهى عراكاً بالسكاكين،
والذي وعظ رعاة القر بكلمة الله، بل كان صوته أشبه بكلمة الله فيه
ودون أن ينظر الى أحد أصدر أمره: «أخرجوا هذه الصناديق . لا أريد كتاباً
واحداً في القبر» .

استمر العمل لما يقرب من ساعة . في الخارج على أرض أخضر الأقبية وصحنا
كوماً كان أعلى من أطول رجل في . كنا جميعاً نحىء ونروح . وكان الوحيد الذي لم
يتحرك هو دون اليخاندرو .

ثم صدر اليا الأسر: «الآن، أشعر السر في هذه الكومة» شحب وجهه
توير . وهتف بيرشتاين «كيف سيتمكن مجلس العالم من العمل بغير هذه المواد
الشمينة التي جمعناها بحب عامر؟» .

قال دون ليخاندرو: «مجلس العالم» وصحك بسحرة ولم يسبق لي أن سمعته
يضحك من قبل .

ثمّة متعة غامضة في التدمير . مرقع اللهب المشتعل، وكان علينا أن نلتصق
بالحداد أو أن ندخل الى العرف . بركا الطلمة والرماد ورائحة لإشتعال في الفناء .
وأنتذكر بعض الصفحات التي سلمت من ليزن وبقيت بيضاء فوق الأرض . نورا
أيرفحورد التي كانت تُكرّ الحب لدون اليخاندرو كما تُكّ الساء الشابات لرجال
أكبر سناً قالت دون أن تفهم ما حصل تماماً «إن دون اليخاندرو يعرف ما يفعل» .
أيرالا الوفي للأدب انرى فتلاً . «لا بد من إحراق مكتبة الاسكندرية كل بضعة
قرون» وبعد حين جاء التفسير:

بدأ دون اليخاندرو القول «لقد نطلب مي أربع سوات فهم ما أنا مزعم على
قوله . يا أصدقائي إن ما عاهدنا أنفسنا على القيام به هو عمل جسيم، حتى أنه
لشمل العام كله . إن مجلسنا لا يستطيع أن يكون مجموعة من الثرائيس الذين
يصرح كل منهم بأذن الآخر في عاصمة المزرعة النائية . لقد بدأ مجلس العام منذ
اللحظة التي كان فيها العالم، وسيستمر حتى حين تصبح هباء منثوراً . لا وجود
لمن لا يوجد فيه . المجلس هو الكتب التي أحرقناها . المجلس هو حويزر فوق كوم

الرماد، والمسيح فوق الصليب. المجلس هو ذلك الصبي النافه الذي يدد ثروتي على البغايا»

لم أستطع منع نفسي من تأييده قلت «دون اليخاندرو، أسي أيضاً أستحق اللوم. لقد أهيت تقريرتي الذي أناوله لك الآن، لكنني بقيت في إنكلترا طويلاً، مدداً أمراك على امرأة».

واصل دون ليخاندرو كلامه «لقد توقعت ذلك جيداً يا فيري المجلس هو ماشيني. المجلس هو الماشية التي بعثها وأميال الأرض التي لم تعد ملكي». وارتفع صوت ستولي عليه الرعب، وكان صوت توپرون: «هل تعني أنك بعث لالاكاليديونيا؟».

قال دون اليخاندرو مهدوء: «نعم لقد بعثها، وليس بحوزتي الآن شر واحد منها، غير أنني لست ناسف على ما فعلت، فأنا أرى الآن الأشياء كما هي. قد لا نلتقي مرة أخرى، لأن المجلس ليس بحاجة لنا. لكن في هذه الليلة الأخيرة سنخرج جميعاً سوية لرؤية مجلس الحقيقي».

وعمرتنا نشوة انتصاره هذا الحل والإيمان. ولم يفكر أحد، ولو لثنية واحدة، أنه كان مجنوناً.

في الساحة صعدنا الى عربة مكشوفة. وحلست على مقعد السائق بجانب الحوذي. أمره دون اليخاندرو.

«مايسترو، دعنا نتجول في المدينة، خدنا حيث تشاء».

إستقر الحوذي الرنجي في مقعده ولم يتوقف عن الإبتسم ولن أعرف أندأ هل أدرك ما كان يجري أم لا

الكلمات رموز تفترض وجود ذكرى مشتركة والذكرى التي أريد تسجيلها الآن تخصني وحدي، فقد مات كل من يشترك فيها معي إن المتصوفة ليستشهدون بالوردة، والقبلة، بطير هو كل لطبور، وشمس هي السجود كلها والشمس، بزق الخمر، والحديقه، والعقل الجنسي. لكن ليس في هذه المجازات ما ينمعي لوصف تلك الليلة الطويلة الممتعة، التي تركتنا متمعين وسعداء حتى مطلع الفجر. لم تكن نتحدث عندما كانت عجالات العربة وحوافر الحمار تصلصل فوق الحصى. وقبل أن يتعلو أول صياح النهار. محاذاة مجرى مني متواضع ومتمم ربنا كان جدولا أو نهر صغيرا ارتفع صوت نورا أيرفحوردها، قصيدته من شعر باتريك سبيز،

وانسجم مع بعض أبياتها دون اليخاندرو فغنى بصوت خفيض . ولم تنقل بي
الكلمات الإنكليزية الى صرة بياتريس . وهمس تويرل خلفي : «أردت شراً ففعلت
حيراً» .

شيء مما لمحاه كان معيماً بالحياة - السور المضارب الى الحمرة في مقبرة ريكوليت ،
سور السجن الأصفر، رحلان يرقصان معاً عند زاوية الشارع القائمة، الباحة
بآجرها الأسود والأبيض، وسياجها ذي القضبان المعدنية، حاجز القطار، بيتي،
السوق، الليلة الكثيرة التي لا يسر غورها، لكن ليس في هذه الأشياء الزائلة التي
ربما كانت أشياء أخرى ما بهم . ما بهم حقاً هو الشعور بأن خططنا التي هزأنا بها أكثر
من مرة كانت موجودة وحوماً حقيقياً وسرياً وكانت العالم وأنفسنا . ومرور السنين،
دو أمل كبير، نحث عن طعم تلك الليلة . مرات قليلة شعرت أنني أمكتها في
الموسيقى، في الحب، في لذكريات التي لا أمان لها . ولم تعاودني الا مرة واحدة في
حلم . وكان صباح يوم السبت، عندما أقسمنا أن لا نتحدث مع أحد بشأن
المجلس .

لم أرَ أحداً منهم مرة أخرى، باستثناء أبرالا . ولم نتحدث لا أنا ولا هو عن
المجلس، فقد كان كل حديث إنتهاكاً لحرمته . عام ١٩١٤ مات دون اليخاندرو
غلينكوي ودفن في مونتفيديو، بينما كان أبر لا قد توفي في العام الذي قبله .
مرة التقيت مصادفة نيرشتاين في شارع ليما وتظاهر كلانا بأنه لم ير الآخر .

ثَمَّةُ أَشْيَاءٍ أُخْرَى

«احتماء بذكرى هـ . ب . لفكرت»

وأنا على وشك نأدية آخر امتحان لي في جامعة تكساس في أوسطن علمت أن عمي «أدوين أرنيت» قد مات نتيجة تمدد الأوعية الدموية في آخر القارة الأمريكية الجنوبية. شعرت بما يشعر به كل شخص إذا مات له أحدهم، واستبدني ندم - لا جدوى منه الآن - لأنني لم أكن أكثر عطفاً. فنحن ننسى أننا جميعاً موتى نتحدث مع موتى كنت أدرس الفلسفة. وتذكرت أن عمي الذي كان يته في كاسا كولورادا قرب لوماس عند أطراف موبس آيرس هو الذي دفعني لدراسة العضلات الفلسفية ااجموية دون أن يتطرق لي ذكر اسم معين. وكان من محاسنه أنه ساعدني على الإلمام بمشالية «باركلي»، وكان يكتفي بلوح شطريج لتوضيح مغالطات الإيليين. وبعد سنوات كان عليه أن يعبرني رسائل «هتون» التي تحاول أن تقيم الدليل على واقعية المكان رباعي الأبعاد، حيث يطلب من القارئ تحليل مكعبات متعددة الألوان بتهازين معقدة. ولن أنسى الموشورات والأهرامات التي كنا ننضدها على أرض المكتب.

كان عمي مهندساً. وقبل تقاعده من وظيفته في السكك، فرّر أن يني له بيتاً في توردويرا، التي كانت توفر له مزايا الريف مع القرب من المدينة. ولم نحسب أن يكون معماري شخصاً آخر عبر صديقه الحميم «الكسندر موير» كان هذا الرجل المترمت يتبع تعاليم جود نوكنس المترمته. وكان عمي مثل أغلب رجال زمانه، رجلاً حرّ التفكير، أوبالاً أخرى تعطيلياً لا ادرياً، لكنه كان مهتماً باللاهوت، كما كان مهتماً بمكعبات هتون اليومية وكوايس هـ. جـ ويلر الشاب المشيدة تشييداً متقاً. كان

يجب الكلاب، وكان عده كلب رعي كبير سماء صموئيل جوسن، إحياء لذكرى
لتشفيلد مسقط رأسه البعيد.

كانت كاسا كولورادا تنصب فوق وهدة من الأرض تحدها من الغرب الحقول
التي لوجتها الشمس. وفي داخل سياجها لم تتمكن أشجار الأوركادية من تلطيف
كثافة هوائها. وبدلاً من السطح المبسط كان سقفها سقفاً سرحياً مكسراً بالقرميد
ورجاً مرعاً مع ساعة كانت هذه الأشياء تجعل الجدران والكوى أكثر انقباضاً
وكسبي تعودت أن أقبل هذا الفصح كله، كم يقبل المرء هذه الأشياء المتناثرة التي
نسميها العالم، لمجرد أنها توجد معاً

عدت الى البيت في ١٩٢١. كان البيت قد عرض في المزاد لتجنب التصفيدات
القانونية. واشتراه شخص بكرة اسمه «ماكس بريتوريوس»، بعد أن دفع ضعف ما
دفعه أعلى مزايده. وما أن تم توقيع العقد حتى وصل في ظهيرة متأخرة بصحبة
مساعدتين، وحمل الى مخزن النفايات القريب من شارع دروفر القديم أثاث البيت
كله، والكتب كلها، والأواني كلها (أندكر سحر التخطيطات الحميلة على
مؤلفات هنتون والكروات الكبيرة). في اليوم التالي ذهب بريتوريوس الى موير واقتراح
عليه أن يقوم ببعض التعديرات التي رفضها المعاري يارداء. وكذلك رفض السحارون
المحليون أن يوثقوا البيت. وأخيراً قبل شخص اسمه «مارياني» من «غلو» شروط
بريتوريوس. ولدة أسوعين كاملين بقي يعمل ليلاً وراء أبواب البيت الموصدة.
وليلاً أيضاً إنتقل مالك البيت الجديد الى كاسا كولورادا. لم تفتح بواقد البيت،
ولكن كان بالإمكان تمييز خيوط الضوء الباهتة في الظلمة. وذات صباح وجد نافع
الحليب كلب الرعي في الممشى ميناً بلا رأس وقد تقطعت أوصاله. وفي ذلك الشتاء
إقتطعوا أشجار الأوركادية. ولم ير أحد بريتوريوس مرة أخرى أداً.

عندما وصلتني أخبار هذه الأحداث تركتني غير مطمئن السال أعرف أن
المضول من شيجي، ذلك الفضول الذي جمعي بامرأة تختلف عني كل الاختلاف
رغبة في معرفة من تكون، وجرتني الى تجريب الأفيون (دون حسان للعواقب)،
ودعاني الى خوض مغامرة بشعة، أنا في سبيل الى روايتها. ولهذا قررت، بقال سيء،
أن أتحري هذه المسألة.

خطوتي الأولى كانت لقاء الكسندر موير. كنت أندكره شخصاً فارغ الطول،
وأسود، بقوام نحيل يوحى بالقوة. ولكن السنين حنت ظهره فشابت لحيته السوداء.

إستقبلني في بيته الذي كان، كما توقعته شبيهاً ببيت عمي، ما دام البيتان يسعان
المقاييس الثابتة التي أعدها الشاعر الجيد والبناء الرديء «وليم موريس» .
كانت عاداتنا شحيحة، في أن شعار اسكتلندا هو لشوك، وبرغم ذلك فقد
تكون لدي شعور، أن شاي سيلان القوي، وقطع الكعك بالكريمة (التي قطعها
لي ودهنها بالزبدة وكأنني ما أزال طعماً) كانت في الحقيقة عيداً كالغيبى زهيداً قدمه
لأبن أخ صديقه كان اختلافه اللاهوتي مع عمي لعبة شطرنج طويلة تطلت من
كل منها معونه خصمه .

إنقصى الوقت ولم أصل بعد الى عرصي حيم صمت نغيل، ثم نحدث موير
قائلاً: «أيها الشعب، لم تقطع كل هذه المسافة لتتحدث عن أدوين و امملكة
المتحدة، وهي بلد ليس لي بها أدنى اهتمام إن ما بقلقت هو صفقة كسا كولورادا
وصاحبها الغريب . ون ذلك ليلقني أيضاً . وأقول لك مصراحة أن سرد هذه القصة
يرعجي . لكنني سأحركها أستطيع، ولن يكون كثيراً»

بعد برهة واصل كلامه على مهل . «قبل أن يموت أدوين، دعاني العمدة الى
مكتبه كان معه أسقف الأبرشية، فطلبوا مني أن أقوم بإعداد تصميم للمصل
الكاثوليكي على أن يكافأ عملي مكافأة جيدة فأجبتهم بالنفي على الفور، وقلت
أنني خدام الله ولا أستطيع أن أرتكب معصية في بناء مديح للأوثان» وهما توقف

تجرات أخيراً وسأله: «هل هذا كل شيء؟»

«لا، فقد أرادي هذا العاجز اليهودي بريوريوس أن أهدم ما بنيت وأرفع بدلاً
من ذلك شيئاً بشعاً . إن المعاصي تأتي بأشكال عديدة» .

هس هذه الكلمات برزانة وهض على قدميه

في الخارج، عندما كنت أنعطف حول راوية، إقترب مني دانيال أيبيرا . كنا
نعرف بعضنا كما يعرف الناس بعضهم في المدن الصغيرة . وقرح أن مذهب سوية
الى نورديرا . لم يسبق لي أن تحمست لسفاح، وتوقعت منه شيئاً من قصص العناب
السحيمة المملقة، ولكنني استسلمت وقبلت دعوته . كان وقت العروب تقريباً . حين
لاحظت لك كاسا كولورادا من وراء السيوت، انعصف أيبيرا . سأته عن السب، فكان
جوابه على غير ما توقعت، قال: «انني ساعد فليب الأيمن، ولم يسمني أحد بالرخو
أو الجبان . ذلك الفتى الأرغواي الذي يحمل أعباء الطريق من ميرلو بحثاً عني -
ربما تذكر ما حصل له . أنظر . قبل عدة ليال، كنت عائداً من حفنة، وعلى بعد

مائة ياردة تقريباً من ذلك البيت رأيت شيئاً ما. كان جوادني قد انتصب على قائمته، ولر لم أمسك به جيداً وأرجع به الى الصرين لكنت الآن في عداد الموتى. ورف رأيت يفسر هرع «لجواد». ثم، على نحو غاضب، أضاف أيبيرا كلمة قسم.

لم أتم تلك الليلة وحوالي الفجر حلمت بنقش لم أراه من قبل، أو انني رأيتة وبسته. كان على طريقة «برانيشي»، وكان ينطوي على متاهة. كان عبارة عن مديج حجري تتحلق حوله أشجار لسرو التي يصل الى أعاليها. لم تكن هناك أبواب أو شبايك، أو بالأحرى كان ينكشف عن صف لا نهاية له من الكوى العمودية الضيقة. حاولت أن أرى المينوطور في داخله مدسة مكبرة. كان مسح مسح، أقرب إلى البيسون^(١) منه إلى الثور العادي، وقد بسط جسمه الإنساني على الأرض كأنه نائم ويحلم. بماذا كان يحلم أو يمس؟

مررت بكلمسا كولورادا ذلك المساء. كانت البرابة الحديدية مسدودة، وقد التوت بعض قضبانها وما كان حديقة يوماً اكسى الآن بالأعشاب الصارة. وعلى جهة اليمين ثمة مستنقع ضحل دبست حافاته الخارجية. لم تبق أمامي الا خطوة واحدة، غير أنني بقيت أتجنبها لأبام، لا لأنني شعرت بأنها مجرد مضيفة للوقت، لكن لأنها ستؤدي الى ما لا سبيل إلى احتنايه الى النهاية.

دون أمل كبير ذهبت الى «غلو». كان ماريابي النجار بدياً وذو وجه إيطالي منورد، وأليفاً وودوداً، وقد تقدم به العمر الآن. ألقبت عليه نظرة واحدة كانت كافية لاستبعاد الخديعة التي هيأتها له في الليلة السابقة. أعطيتني بطاقتي التي نهجها مغروراً بصوت عالٍ، ثم ارتبث قليلاً عندما وصل الى «الدكتور». قلت له انني كنت مهتماً بالأثاث الذي صممه لبيت في تورديرا، والذي كان أثاث بيت عمي. فتحدث الرجل طويلاً. ولن أحاول أن أورد هه كل ما قاله وأشار اليه، لكنه قال لي أن شعاره هو أن يلبي طلبات زبائنه جميعاً، مهما كانت غريبة، ولهذا السبب أنجز ذلك العمل. ويعد أن فنش في عدة دروج أراني بعض الأوراي التي لم أميز لها أولاً من آخره، كانت تحمل توقيع «بريتوريوس» المخادع (لا شك أن ماريابي حسبي محامياً). وجين ودعته اعترف لي بأنه لو أعطني ذهب العالم كله فلن يضع قدمه مرة أخرى في تورديرا. وقد أن الزبون مقدس، لكن بريتوريوس، في رأيه المتواضع، مجنون. ثم استبد به شعور بالأسف لم أتمكن من نهديثه.

(١) Bison الثور الاميركي (را. المورد)

التمست لعدد لهذا الاخفاق، عبر أن التماس العذر شيء، ورؤية ما يقع شيء آخر. مرة بعد أخرى قلت لنفسي أن حل هذا اللغز لا يهمني، وأن اللغز الحقيقي هو الزمن، تلك السلسلة المتقطعة من الماضي والحاضر والمستقبل، من الأبد والأزل. وقد ظهر أن هذه التأملات لا قبلة لها، لكنني مع ذلك، كنت بعد كل ظاهرة مكرسة لدراسة شوبهور أو روس أمشي ليلة بعد أخرى في الشوارع القذرة التي تحف كاسا كولورادا، أحياناً كنت ألح في الأعلى ضوءاً ناصع أبيض، وأحياناً أخرى أظن أنني سمعت نحيباً واستمرت هذه الحال حتى التاسع عشر من كانون الثاني

كان يوماً من أيام بوينس آيرس التي يشعر فيها الإنسان أن الصيف يدلّه ويهينه ويخط من قدره انقطعت العاصفة حوالي الساعة الحادية عشرة. في البداية جاءت الريح الشمالية، ثم المياه والسيول. تحولت بحثاً عن شجرة، وفي الوهج المفاجيء لالتئاع الرق وجدت نفسي على مقربة بصع خطوات من السياج. ودفعني خوف أو أمل.. لا أدري..، لكنني أدري أنني جرت أن أفتح البوابة. فانفتحت على غير توقع. وخطوت إلى الداخل، مدفوعاً بالعاصفة، تحت تهديد السماء والأرض، كان باب البيت مفتوحاً أيضاً. اندمعت في وجهي سين من المطر الهادر، فدخلت.

كان آجر الأرض قد تكسر، وخطوت فوق عشب مجذول امتلأ البيت رائحة عذبة مقرزة. وإلى جهة اليمين أو إلى جهة اليسار لم أعد أدري، عثرت بسلم حجري، وصعدته بسرعة. ودون أن أنتبه لتعبي فتحت رر المصباح.

حرفة لطعام ومكتبة دكراني، أصبحت غرفة واحدة تضم قطعة أو قطعتين من الأثاث، وقد أزيل الحائط الذي بينهما. ولن أصفهما، ما دمت غير متأكد تمام التأكد - رغم الضوء الأبيض القاسي - من رؤيتهما. فلأوضح أفكارني، لكي يرى المرء شيئاً لا بد أن يفهمه. الكرسي ذو الدرعين يوحى للناظر بالجسم البشري بأطرافه ومفاصله، والمقص يوحى بعملية القطع. ولكن ماذا يمكن أن يقال عن المصباح أو السيارة؟ لا يستطيع المتوحش أن يدرك إنجيل البشر، ولا المسافر أن يرى شر الأشرعة كما يراه البحارة. ولو رأينا العالم حقاً لفهمناه.

لم يكن أي شكل من تلك الأشكال المجردة من المعنى التي أعطيتها تلك الليلة قد أوحى إليّ بالهيشة البشرية، أو بأي استعمال قابل للفهم شعرت بالاشمئزاز

والرعب. في إحدى الزوايا وجدت سلماً يؤدي إلى الطابق الأعلى، كانت المسافات الفاصلة بين المرحلات الحديدية التي لا تزيد عن عشرة واسعة وغير منتظمة. ذلك السلم الذي يسطوي ضمماً على الأيدي والأقدام كان شيئاً يمكن فهمه، وقد أراحني ذلك نوعاً ما، أطفأت الضوء وانتظرت فترة في الظلام. لم أسمع أدنى صوت، لكنّ حضور الأشياء اللامفهومة أثار قلقي. وفي النهاية قررت أن أصعد. ما أن وصلت إلى أعلى، حتى أشعلت يدي المبرقشة الضوء مرة ثانية. الكابوس الذي أبلد في الطابق الأسفل انتعش وازدهر في الطابق الأعلى وهنا إما أنني رأيت أشياء كثيرة، أو أشياء قليلة نجّمت معاً. أتذكر الآن أنه كانت توجد طاولة شبه طاولة عمليات طويلة جداً وعلى شكل حرف U تتجاويف مستديرة عند كل نهاية. فكرت أنها ربما كانت سريراً لسكان البيت الذي أرحى له تشريحه الشبح أن يكون على هذا الشكل مثل سرير حيوان أو سرير إله في طله. ومن صفحة ما من كتاب «لوكان» ففرت إلى شفتي كلمة «غول» التي ألمحت، وأن لم تصف بدقة ما كان على عيني أن ترياه فيها بعد. وأتذكر أيضاً صفراً من المرايا على شكل ٧ تلاشي في ظلمة الطابق الأعلى

من يكون ساكن البيت؟ ما الذي يبحث عنه في هذا الكوكب الذي لا يقل مشاعرة عنده عن شعاعته عندنا؟ من أي منطقة سرية من الملك أو الرمس، من أي غسق معروف في القدم وصل الآن إلى هذه الضاحية الأمريكية الجنوبية وفي هذه الليلة بالذات؟

شعرت بوحود متفصّل في العباء. توقفت المطر في الخارج. نظرت إلى ساعتي ورأيت يدهشة أنها الساعة الثانية. تركت الضوء مشتعلًا ونزلت بحذر إلى الأسفل ولم يكن مستحيلاً أن أزل من حيث صعدت، أن أنزل قبل أن يعود صاحب البيت. وحمّت أنه لم يقفل الأبواب لأنه لم يعرف كيف يفلها.

كانت قدمي عند العتبة ما قبل الأخيرة من السلم عندما شعرت بشيء، بطيء، وثقيل، وثلاثي يعتلي السلم. تعلب فضولي على هديتي ولم أعصر عيني

طائفة الثلاثين

تمكر مراجعة المخطوطة الأصلية في جامعة ليدن . كتب النص باللاتينية ، غير أن هيلينياً أو اثنين برّرا الاعتقاد بأنه مترجم عن اليونانية . وحسب ما يراه ليزغانغ فإنه يرقى الى القرن الرابع الميلادي . ويذكره «غيون»^(١) في إحدى حواشي المصطلح الخامس عشر من كتابه «التدهور والسقوط» . كتب مؤلف المجهول

لم تكن الطائفة كبيرة لكنها ما برحت تستقطب الأعضاء وان قلوا عدداً . فقد ذهب عشرين قنلاً بالسيف أو النار ، وأهم لينمون في الطرقات ما دام محرماً عليهم أن ينوا بيتاً للسكنى بين الخرائب التي أبقت عليها الحرب ، وهم يجوبون البلاد عراة تماماً وهذه وقائع يعرفها الجميع . وما أرمي اليه هنا هو أن أترك أثراً مكتوباً عما دفعني لاكتشاف عادات الطائفة ومعتقداتها لقد حاججت معلمها وصادقت بعض السحاح في هديهم إلى الإيمان بربها .

كان أول ما اجتذب انتباهي في الطائفة هرتياين أفكارها بشأن الموتى فمثلاً يشجع الاعتقاد بين أغلب الجهلاء أن دفن من فارقوا هذه الحياة يعهد به إلى أرواحهم . أما الآخرون من غير المتشددين ، فيعتقدون أن المقصود من تذكير يسوع المسيح «مرك الموتى يدفنون موتاهم» هو إنكار الخيلاء المرفقة لشعائرها في الدفن ويميل كل من ينتمي إلى الطائفة إلى بيع ما يمتلك والتصدق به على الفقراء ، فالمتنعمون يتصدون على عبيدهم وهؤلاء ، بالمقابل إلى آخرين غيرهم . وهذا بحد ذاته كافٍ لتفسير عريتهم وعوزهم الذي يقترب منهم من دولة العرودوس وأهم لينحسمون لترديد هذه الكلمات «أنظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تملك سقائف أو مخازن . ومع ذلك يقوتها أبوكم السماوي . أنتم أنتم بالحري أفضل منها» .

إن تعاليمهم لتحرم كل أشكال الاكتناز «فاذا كان الله يعيد كساء الحقول بالمشب، الذي يوجد اليوم ويلقى في التنور غداً، فلماذا لا يكسركم أنتم، يا قليلي الايمان؟ فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب».

والحكم بأن «كل من ينظر الى امرأة ليستهيها فقد زنى بها في قلبه» هو جزء من نصيحة الاستقامة للاحتفاظ بالعفة وطهارة القلب. ومع ذلك فهناك أعضاء كثيرون من الطائفة ممن يرون أنه لو صبح وجود رجل واحد على الأرض ينظر الى المرأة ولا يستهيها فقد ارتكب الزنى جميع الرجال. وما دامت الشهوة خطيئة كالفعل، فإن الصالحين من الناس قد يتساهلون بالاشتواء المفرط دون أن ينتبهوا الى خطورته.

إن رجال الطائفة يعرضون عن الهياكل، ويشر المسنون منهم بتعاليمهم في الهواء الطلق من على تل أو حائط، أو أحياناً من رورق على الساحل.

وقد كان إسم الطائفة مبعث افتراضات لا تعطع. فهناك من يرى أنه يشير الى العدد لنزر الذي انتهى اليه المؤمنون بالطائفة وتقاليدها. وهو افتراض سخيف مع أنه نوثي، لأن الطائفة محكوم عليها بالفناء بسب اعتناقها لمعتقداتها. ويذهب افتراض آخر إلى أن إسمها مشتق من طول فلك نوح الذي يمتد ثلاثين ذراعاً. ويرى آخر رأياً يشوه التقويم، فيشير إلى أنه مشتق من عدد الليالي التي يتألف منها الشهر القمري. ويرعم آخر أنه مشتق من عمر المخلص عندما عُمد. وآخر من عمر آدم عندما أخرج من أديم الأرض وكل هذه الافتراضات غير صحيحة ولا يقل عن ذلك ضللاً قائمة العروش أو الآلهة الثلاثين ومنها «أراكساس» وقد تصور رأس ديك، وذراعي إنسان وحده، ودبل أفعى مضمورة.

لست مهووب في عقل حقيقة الدين. والمرء قد يعرف حقيقة الدين لكنه لا يستطيع أن يماري فيه. وقد يوجد مهويون أقدر مني لينقدوا أعضاء الطائفة بالتبشير، بالتبشير أو بالنار، لأن الإمتثال للقتل أفضل من ارتكاب الانتحار. ولذلك سأقتصر على تقديم صورة عن هذه البدعة الغيضة.

لقد مثل الكلمة بشراً سوياً ليكون رجلاً بين الرجال الذين سيلمونه لصلاب ليكفر عنهم. لقد ولد من رحم امرأة من الشعب المختار، ليس فقط ليشر بالمحبة، بل ليذوق الشهادة.

كان من الضروري للأحداث أن تظل في الباء. وقيل انفس الإنسانية بالسيف أو بشراب الشوكران لا يكفي لجذب انتباه البشرية نحو آخر الزمان. فالله

رُتب العالم ترتيباً مثيراً. وذلك هو معنى العشاء الأخير، كلمات يسوع لمسلمه، تحذيره لواحد من تلاميذه، مباركته للحز والخمر، تعهد بطرس أن لا يشك فيه، سهر العشية في صبيحة الخنثائية، نوم التلاميذ الإثني عشر، الصلاة البشري لإس الله، عبور الكأس، الجمع الكثير بالسيف والعصي، قبلة الخيانة، بيلاطس الذي غسل يديه. الجلد، الهزء، إكليل الشوك، القصة، الحبل المزوج بمرارة، الصليب عند أعلى التل، وعد اللص التائب، الزلزلة والظلمة على كل الأرض.

لقد شاءت لي نعمة الله التي أدبني ها بالكثير من العطايا أن أكتشف الباعث الحقيقي والسري لإسم الطائفة. ففي «كيريوث» حيث نشأت على التشابه بقي هناك اجتماع سري للعبادة يعرف بـ «الثلاثين قطعة نقدية». كان هذا اسماً قديماً، وهو يزدنا بالفتح. ففي تمثيلية الصليب (وأنا أخص هذا بالتبجيل الذي يليق به) كان هناك ممثلون مقصودون وممثلون غير مقصودين، وكلهم ضروري، وكلهم محتوم، فالقسمة الدين يورعون لقطع الفضية غير مقصودين، والجمع الذي طالب بـ «باراناس» غير مقصود. وحاكم يهوذا غير مقصود والجود الرومان الذين هياؤا صليب شهادته، ودقوا المسامير في جسده وألقوا قرعة على لسانه غير مقصودين. كان الممثلون المقصودون إثني فقط. المخلص ويهوذا. ويرمي هذا الأخير ثلاثين قطعة من الفضة هي ثمن تخليصه ثم يمضي ليشق نفسه. ويكون عمره حينئذ مثل عمر اس الله ثلاثاً وثلاثين سنة. وتتعد الطائفة لكليها وتحل الآخرين فليس ثمة مجرم أو منهم كل شخص، قصد أو لم يقصد، هو مجرد أداة لما أرادته الحكمة الإلهية في الأزل. وكلهم في المجد سواء.

إن يدي لترتجف من تسجيل شيء بغضب آخر، فلكني يحدو المؤمنون حذو معلمهم، فإنهم ما ان وصلوا إلى الس المسكورة، حتى يقوموا بتمثيل الدور فيصلوا على قمة تل. وهذا الإنتهاك الإحرامي لموصايا الخمس لا بد من وصح نهاية له، بكل القسوة التي أدانتها الشرائع البشرية والإلهية. وقد نحل لمة الله أو ضعية الملائكة.

إلى ها يتهي الص لم يكتشف أي جره آخر من المحطوبة

ليلة الهبات

كان ذلك منذ عدة سنين، في «كافيتريو السر» في شارع فلوريدا حياً إستمعا الى هذه القصة. كنا نناقش مسألة المعرفة. وأثار أحدهم النظرية الأفلاطونية التي تذهب الى أننا رأينا كل شيء في عالم سابق، ولذا فإن معنى المعرفة هي أن تعرف الشيء مرة ثانية. وأبي - فيما أظن - هو الذي قال أن «يكون» كتب أنه إذا كان التعلم هو التذكر، فإن الجهل لا يمكن أن يكون شيئاً سوى النسيان. وشاركنا الحديث شخص آخر، طاعص في لسر، ربّما أحسن أنه ضائع في الميتافيزيقا، فقرّر أن يتدخل ونكلم بمهل ونرو. وإليك ما قاله.

بصراحة أنا لا أفهم كل هذا الحوار عن السادج الأفلاطونية المثالية. لا أحد يتذكر أول مرة رأى فيها اللون الأصفر أو الأسود، أو أول مرة تذوق فيها فاكهة. قد يكون السب أنه كان صغيراً، ولم يدر حبله أنه يفتح بذلك سلسلة من الإحساسات. بالطبع هناك مرات أولى لا ينساها أحد. وأستطيع أن أروي لكم ما حلته لي ليلة في حياتي، ليلة لا تنسى. إنها ليلة الثلاثين من نيسان ١٨٧٤.

كنت العطل الصيفية حيثئذ أطول. وبكثني لا أعرف لماذا مكثنا بعيداً عن بوننس آيرس حتى ذلك الحين. كنا في مزرعه أثناء عمومتنا «آل دورن» قريباً من «لوبوس» في ذلك الوقت، كان أحد القرويين، وإسمه «دروفينو» قد علمني الأشياء الريفية كنتُ ذنوم سن الثالثة عشر، وكان هو أكبر مني بقليل. وكان معروفاً بالتهور والسرعة والرشاقة. وعندما يلعب الشباب لعبة العصي المشتعلة كان خصمه دائماً هو الذي يصطليج وجهه بالسواد. ذات جمعة إقترح علينا روفينو أن نذهب إلى المدينة في اليوم التالي لتلهي قليلاً. فوافقت دون أن أعرف عاقبة ذلك. حذرته بأنني لا أعرف الرقص، فقال إن الرقص سهل التعلم.

خرجنا يوم السبت بعد العشاء، عند الساعة السابعة والنصف تقريباً. كان روفيو بتريا بأحسن ما عتده من ثياب، وكأنه ذاهب إلى حفلة. وقد وصع في حرامه سكيناً فضية. كانت لدي سكين صغيرة مشامة لها، ولكنني لم أحلبها معي خوفاً من سخرية الآخرين. وما لبثنا أن لحنا أول البيوت. لا أظنكم رأيتم بيوت «لوبوس» . لا يهم . ليس في الأرجنتين قرية صغيرة تختلف عن غيرها حتى في التفكير بأنها تختلف. كل قرية فيها الطرف الثرابية نفسها، الترع نفسها، البيوت الخفيفة نفسها، وكل ما يضيء أهية على من يركب جواداً.

نزلنا في زاوية شارع أمام أحد البيوت المصبوغة بالأزرق السماوي أو الوردي، وكانت عليه علامة مكتوب عليها «السحمة». كانت الحياض مربوطة إلى عمود المربط وعليها سروج جيدة. ومن خلال باب نصف مفتوح على الشارع رأيت مريض ضوء. وبعد نهاية المشي كانت غرفة واسعة بمقاعد خشبية على الحائسين، وبين المقاعد عدد من الأبواب المفتوحة على حيث لا يعرف أحد. نبح كلب صغير مرحباً بي وكان هناك عدد من الناس وثلة ساء يذهب ويحزن بثياب تطرزاها الرهور. امرأة محتشمة المظهر تلبس السواد من أعلاها حتى أخمص قدميها بدت لي أنها صاحبة البيت. سلم عليها روفينو قائلاً: «لقد جئت لك بصديق جديد، لكنه لا يحسن ركوب الخيل».

أحابت المرأة: «لا تخف، سيتعلم ذلك قريباً».

شعرت بالخجل. وحتى لا أكون محط انتباههم، أو حتى أحملهم يعصدون أنني لم أكن سوى صبي، إبتدأت بمداعبة كلب على حافة أحد المقاعد. كانت بعض الشموع تأتلق في زجاجة على طاولة في المطبخ. وأتذكر أيضاً أنه كان هناك موقد في زاوية حلفية، ولوحة على الجدار الصقيل لمولانا «سيدة الرحمة».

كان أحدهم يعزف على قيثارة ما بين نكتة وأخرى، مما سبب له الكثير من التساع. ومعني الخجل من أن أرفض كأس جن أشعلت النار في جوفي. بين النساء لمحت واحدة تختلف عن الأخريات. كانت تدعى «الأسيرة». كان فيها شيء من الهنود، ولكن ملامحها جميلة كرسوم، وعيها حزيتان جداً. وقد تدلى شعرها المصعور حتى حصرها. لاحظ روفينو أنني كنت أصدق إليها.

قال لها: «حدثنا مرة أخرى عن عارة الهنود لنسرد ذكرياتنا عنها»

تكلمت الفتاة كما لو أنها وحدها، حتى شعرت أنها غير قادرة على التفكير بأي

شيء سوى هذه القصة، وإنما الشيء الوحيد الذي حدث لها في حياتها.

قالت: «كنت صبية عندما جاءوا بي من «كاثا مراكا». ماذا كنت أعرف عن غارات الهنود؟ في سانتا إيرين لم تكن نتطرق إلى هذه الأشياء، فقد كنا خائفين جداً. ومسرعة تعلمت شيئاً فشيئاً أن الهنود يتسللون كالغيم، ويقتلون الناس، ويسرقون المواشي. وكانوا يأخذون النساء إلى السهل الواسع ويفعلون هنَّ كل شيء. لم أكن أصلي ذلك. وقد أقسم لي أخي لوكاس الذي أنشأ الهنود في صدره ربحاً فيها بعد، أن ما يقوله الناس كذب في كذب، والشيء الحقيقي يكفي أن يقال مرة واحدة لتعرف أنه حقيقي. كانت الحكومة توزع عليهم الشراب والشاي ليظفروا سعداء، ولكن سحرتهم الخبثاء كانوا يأمرتهم بالعزو. وإذا أمرهم رؤسؤهم لم يتورعوا عن مهاجمة أية مزرعة خارج الحصون الموجودة هنا وهناك. ومن كثرة التفكير بذلك، كنت أتمنى أن يبحثوا وأطر صوب العروب بانتظارهم. لا أعرف كم مضى عليّ من الزمن، فقد إنقضى موسم انصاف وانقضى الصيف، ورعى المواشي، ومات إس المزارع، ولم يأت الغارة».

صبت للحظة أو لحظتين، واستند بها التفكير، ثم واصلت: «كان رياح الجنوب ألقت بهم إلين. لقد رأيت زهر الشوك في الترع وحملت بالهنود في تلك الليلة. حدث ذلك مع إنبلاج الفجر. أحست بهم الحيوانات قبل الشر، كما لو أنهم زلزال، وساد المرحج بين الدواب والماشية، واصطربت الطيور في السماء. فهرعنا للنظر في الاتجاه الذي كنت أسطر قدومهم منه».

سألت أحدهم: «من حذرهم منهم؟»

أعادت الفتاة جملتها الأخيرة وكأنها ما تزال بعيدة «هرعنا للإتجاه الذي كنت أنظر قدومهم منه. وكان الصحراء كلها أخذت تتحرك. ومن قضان الشبايك رأينا سحابة من الغبار قبل أن نراهم. كانوا حفاة غزاة يضربون أقواهم بأيديهم ويتصايحون. في سانتا إيرين كانت معنا بساق قديمة، ولكنها كانت صالحة للصحح فقط، ودفعهم إلى المزيد من الوحشية».

كانت «الأسيرة» تتكلم وكأنها ترتل صلاة تحفظها. وفي الشارع سمعت جنود الصحراء وصرخاتهم. ثم إندفعوا إلى الغرفة وكأنها إندفعوا على ظهور الجياد في بقايا حلم. كانوا سكارى. واليوم عندما أستميد صررتهم أراهم طوال القامة. وقد صرب رؤسهم روفيو مكروعه، فمتقع وجه روفينو وابتعد. نهضت السيدة المتشحة

بالسواد، ولم تبارح مكانها، وقالت:
«أنه خوان موريرا».

مع مرور الزمن لم أعد أعرف من أنني أتذكر رجل تلك الليلة، موريرا المحرم - أم شخصاً آخر اعتدت على رؤيته فيما بعد في سوق المواشي. واني لا تذكر تلك اللحية السوداء الطويلة الكثة في وجه موريرا، وأتذكر أيضاً ذلك الوجه المتورد الذي ضربه الجداري هرع الكلب الصغير فرحاً به، وبضربة من سوطه جعله موريرا يسط دراعيه على الأرض. إرتكز الكلب الصغير على ظهره، ومات وقوائمه تضرب الهواء. وهنا تبدأ القصة حقاً.

دون أن أحدث صوتاً، انجھت إلى أحد الأبواب التي تؤدي إلى تمر ضيق. في الطابق الأعلى إختفيت في غرفة مظلمة وباستثناء السرير، الذي كان واطئاً جداً، لم أعرف قط إن كان ثمة أثاث في الغرفة. كنت أرخف هلعاً. في الأسفل لم يتوقف الصراخ سمعت صوت كأس تتكسر، وسمعت خطى امرأة تصعد السلم، ولححت خيط ضوء سرعان ما تلاشى. ثم سمعت الأسيرة تنادي بصوت هامس. قالت: «أنا هنا لخدمة من يحون السلم اقترِب لِسْ أُوذِيكَ»

ألقت ما عليها من ثياب. اضطجعت إلى جانبها وتحسست وجهها بكتلتا يدي. لا أدري كم انقضى من الوقت، فلم تبادل كلمة أو قبلة. حللت صميرتها وعبثت أصابعي بشعرها المنسدل، ثم عبثت بها. ولم ترَ بعضنا بعد ذلك، ولا عرفت إسمها الحقيقي أبداً.

ثم قوى صوت إطلاقه. قالت الأسيرة: «تستطيع أن تخرج من الدرج الآخر». خرجت، وجدت نفسي في الشارع الفلذر. كان القمر قد أطل وعرفت الشرطة «أندريز شيرينو» كان واقفاً بحرس السور بيدقية ثبت عليها الحربة. ضحك وقال: «أرى أنك نهضت مبكراً».

كان عليّ أن أردّ بشيء، ولكنه لم ينتظر ردّي. ثم هبط من السور رجل، فأنفذ الشرطي الحربة في لحمه. سقط الرجل على الأرض وظلّ ممدداً، وهو يشن وينتف. تذكرت الكلب الصغير الذي تملق موريرا. ولكي يقضي على الرجل تماماً أنفذ شيرينو الحربة في جسده مرة أخرى.

قال فرحاً: «هذه المرة لم تغلج يا موريرا».

جاء رجال الشرطة من كل ناحية، وطوّقوا البيت. ثم جاء الجيران. وحاول

الشرطي أن يخرج الحربة من جسد القتيل، فصاحه الجميع .
قال روفينو صاحكاً: «لقد استولت الخيلاء على هذا السفاح» .
كنت أنتقل من مجموعة إلى أخرى، وأروي للناس ما رأيت .
ثم فجأة شعرت بتمب شديد، ربّما كنت محموماً . تمشيت قليلاً، ثم وجدت
روفينو وعدنا إلى البيت . ومن ظهور جياندا رأينا خيط الفجر الأبيض . وكنت منهوك
الفؤى تماماً عندما شعرت بالحيرة إزاء ما رأيت من أحداث متعاقبة .
حين إنتهى الرجل من كلامه قال أبي :

«في نهر الليلة الكبير»

قال الرجل: «ذلك صحيح . في غضون ساعات قليلة عرفت الحبّ، ورأيت
الموت . كل الأشياء تنكشف أمام ناس، أولنقل كلّ لأشياء التي يتاح للاسنان أن
يعرفها . أمّا أنا فقد إتكشف لي شيان مهمّان في ليلة واحدة . لقد انقضت السنون ،
ورويت هذه القصة عشرات المرات ، ولست أدري ما إذا كنت أتذكرها كما هي أم
أنني أتذكر كلماتي فقط . وربّما كان ما حصل لي شبيهاً بما حصل للأسيرة مع غارة
الهنود . ولا يهم إن كنت أنا من رأى موريرا وهو يموت، أم كان من رآه شخصاً آخر .

المرأة والقناع

إنتهت معركة «كلونتارف» حيث واجه الترويجيون الهزيمة، فتحدث سمو ملك إيرلندا مع شاعر البلاط. قال الملك: «إن الأعمال العظيمة تفقد رونقها ما لم تصنع بالكلمات، وأريد منك أن تغني انتصاري ومديمي. سأكون «إنياس»، وتكون أنت «فرحيلي». فهل ترى نفسك كفؤاً للقيام بهذه المهمة التي ستحلّد كلينا؟».

قال الشاعر: «أجل يا مولاي، إنني «أولان» لقد دربت نفسي لأثنتي عشر شتاءً على ضبط إيقاعات العروض. أعرف عن ظهر قلب الأساطير الثلاثمائة والستين التي تشكل أساس الشاعر الأصيل. وتتيح القوانين لي أن أكون سخياً في استعمال الكلمات القديمة، والاستعارات الأكثر تعقيداً في لغتنا. لقد هيمت على سرّ الكتابة الذي يصون فننا عن عيون الدهماء الكفيفة. وبوسعي أن أحفل بالحب، وسراق الماشية، والأسفار، والحروب. أعرف الأنساب الأسطورية للبيوت الملكية في إيرلندا كلها. وأحوز معرفة لتنجيم الشرعي والرياضيات، والشرائع، وقوى النبات. لقد هزمت الأنداد في المباريات العامة. ومهرت في فن الهجاء الذي يبعث الأمراض في الجلود، بها في ذلك الجذام. وأعرف كيف أتدبر السيف كما برهنت على ذلك في معركتك. وإنني لأجهل شيئاً واحداً فقط. كيف أشكرك على ما أسديته لي من عطايا».

الملك الذي أتعبه لخطب الطويلة، ولا سيما خطب غيره قال مارتياح: «أعرف هذه الأشياء جيداً. لقد قبل لي أخيراً أن العندليب غنى في ربوع إنكلترا. وعندما تنفضي الأمطار والثلوج، يعود العندليب من أراضيه الجنوبية، يستند مدحك أمام البلاط، وأمام مدرسة الشعراء. إنني أمهلك سنة كاملة. سوف تصقل كل كلمة وكل حرف ولن تكون جائزتك هينة في عرني الملكي، ولا في ليالي إلهامك

الطول» .

قال الشاعر، الذي كان من الخاشية : «أيها الملك، أية جائزة أسنى من أن أرى
محيالك !» .

ثم انحنى منشداً بيتاً أو بيتين .

عندما دار الحول - وكان وقت أوبئة وإنصاضات - قَدَّم الشاعر مديحه . ألقاه
إلقاءً بطيئاً واثقاً دون أن ينظر في النص المخطوط وبهزة من رأسه أبدى الملك
استحسانه . قلَّد الجميع إيماءته . حتى أولئك الذين يمتشدون وراء الباب والذين لم
يكونوا قاهرين على نطق كلمة واحدة . وفي النهاية تكلم الملك
قال : «إني أقبل نتاجك . فهو نص آخر لقد وهبت كل كلمة معناها
الأصيل . وكل مفردة نعتها الذي أضفاه عليها الشعراء القدامى . وليس في مدحك
كلمة صورة واحدة لم تعرفها عصور الأدب الأولى . إنَّ الحرب لبوس الرجال الجميل .
والدعاء ماء السيوف وللبحر آلهته . والغيم نقرأ الغيب لقد أحسنت صوغ
القوالب . والحناسات والأسجاع . والمقادير . وقون السلاطة المهددة . وصنوف الوزن
الحكيمة . ولو كان على أدب إيرلندا كله أن يموت - وهذا فال سيء - لبعثته قصيدتك
العصاة هذه دون نقصان . وسوف ينسخها ثلاثون ناسخاً ، كل واحدٍ إثني عشرة
مرة» .

وساد الصمت فعاد ليواصل : «كل ذلك حسن ، ومع ذلك لم يحدث شيء . لم
يجر الدم في عروقنا أسرع مما كان . ولا لامست أيدينا قوساً . لم يعد أحد منا شاحباً .
لم يمت أحد منا بصراحة حرب ، ولا فتح صدره لمهاجمة «الفايكنغ» . وقبل أن يتنضي
العام ، أيها الشاعر ، سنصفق لقصيدة أخرى وكدليل على استحساني فلنبي أهلك
هذه المرة العنقية» .

قال الشاعر «أشكرك يا مولاي وإني لأفهم» .

مضت النجوم في مجراها الساطع . وغنى العندليب مرة أخرى في الغابات
السكونية ، وعاد الشاعر بمخطوطته أقصر مما كانت من قبل . هذه المرة لم يُعذ
قراءتها معتمداً على الذاكرة ، بل قرأها واضح التردد ، حاذقاً بعض الفقرات كما لو
أنه هو نفسه لم يفهمها فهماً كاملاً ، أو أنه لم يرد أن يمتنها . كانت القصيدة غريبة .
لم تكن وصفاً للمعركة ، بل كانت المعركة نفسها . حيث اشتبك في خضم دوامتها
الاله الواحد دو الأقانيم الثلاثة مع آلهة إيرلندا الوثنية ، والآلهة الذين سيخوضون

الحروب بعد مئات السنين من بدء «الأيذا القديمة». ولم يكن الشكل أقل غرابة. اسم مفرد يحكم فعلاً جمعاً. كانت الحروف معايرة للإستعمال السائد. وتبدلت الخشونة نعومة. وكانت الإستعارات إعتباطية، أو ظهرت كذلك.

تبادل الملك بضع كلمات مع الادباء الذين يقفون على جانبيه. ثم تحدث مع الشاعر. قال الملك: «أستطيع أن أقول أن قصيدتك الأولى كانت خلاصة وافية لكل ما أنشدته إيرلندا. أما هذه فتتفوق عليها، بل انها تلغي كل ما قبلها. انها لتشدّه، وتجبر، وتبعث العجب. لن يحفل بها الجهلاء، وليس كذلك المتعلمون وهم قلة. وستكون علبة من العاج مستقرّ نسختها الوحيدة. ونحن نتظر من القلم الذي أبدع مثل هذا العمل الشامخ، عملاً أكثر سمواً». ثم أضاف مبتسماً: «نحن شخوص أسطورة، ولعلّ من الأفضل أن نتذكر أن رقم ثلاثة يغلب على الأساطير» نجراً الشاعر وقال: «هبات العراف الثلاث، والثلاثي والثالث الذي لا ريب فيه»

واصل الملك: «وكعلامه على إستحسائي خذ هذا القناع الذهبي».

قال الشاعر: «أشكرك يا مولاي، وقد فهمت».

دار الحول مرة أخرى. ولاحظ حجاب القصر أن الشاعر لا يحمل معه مخطوطاً. نظر الملك نحوه بانذهال. بدا الشاعر إنساناً آخر. ثمة شيء آخر غير الزمن قد حدد سيّاه وغيّرها. بدت عيونه وكأنها تمحّدق في المدى أو كأنها عمياء. إستأذن الشاعر بقول بضع كلمات مع الملك. فخرج العبيد من المجلس. قال الملك: «ألم تكتب القصيدة؟».

قال الشاعر بحزن: «بلى. ألا حفظني سيدنا المسيح».

«هلا أعدتها؟».

«لا أجرؤ».

قال الملك: «سأهبك ما يقصك من شجاعة».

ألقي الشاعر القصيدة. كانت مؤلفة من بيت واحد. ودون أن يجازف الشاعر بإعادتها بصوت عالٍ، فقد تدوّلها مع مليكه كما لو كانت صلاة سرية أو تجميداً. كان الملك مصعوقاً ومغلوباً على أمره كالشاعر تماماً. نظر الاثنان الى بعضهما بشحوب

قال الملك: «في شبّاي أبحرت بإتحله الغروب. في إحدى الحزير رأيت كلاب

صيد فضية تنقض على خنازير برّ ذهبية. وفي جريرة أخرى فقد إكتفيا بعطر التفاح
السحري طعماً. وفي أخرى رأيت حيطاناً من نار. وفي أبعد جريرة رأيت نهراً
مقوساً معلقاً في كبد السماء تسبح في مياهه الأسماك والزوارق. إن هاتيك لمعجائب.
بيد أنها لا تقاس بقصيدتك التي تصمهنّ جميعاً على نحو ما أية ساحرة أهذتك
إيها؟».

قال الشاعر: «صحوت فجراً وأنا التحدث بكلمات لم أفهمها بديء ذي بدء.
كانت تلك الكلمات قصيدة فشعرت بأنني إقترفت ذنباً. ذنباً لن يفره الروح القدس
نفسه».

قال الملك هامساً: «الذنب الذي نشترك فيه الآن. خطيئة أن تعرف الجمال،
الذي هو هبة محرومة على البشر. ويتوجب علينا الآن أن نكفر عنها، لقد وهبتك مرآة
وقناعاً ذهبياً. وما هي هديتي الثالثة والأخيرة».
ووضع في يد الشاعر اليمنى خنجراً.

عن الشاعر نحن نعرف انه قتل نفسه بعد مفادته القصر. أمّا الملك فقد تحوّل
إلى شحاذ يجرّب إيرلندا طويلاً وعرضاً. وكانت مملكته يوماً ما. ولم يردد القصيدة أبداً.

لا بد من تحديد القارئ، أن الصفحات التالية لا توجد في «الكتاب» (١٦١٥) لآدم البريميني، الذي ولد ومات كما يعلم الجميع في القرن الحادي عشر. لقد استخرجها «لابنيرغ» من مخطوط في مكتبة بودليان في أكسفورد، وزودها بثروة من التفاصيل مفترضا أنها إضافة متأخرة. ولكنه نشرها بوصفها واقعة غريبة في «التحليلات الألمانية» (لابنيرغ ١٨٩٤). أن رأي هاو أرجنتيني ليس بذئ قيمة كبيرة، وليحكم عليها القارئ نفسه. وترجمتي ترجمة أمينة، ولكنها ليست حرفية. كتب آدم البريميني:

ليس بين الأقوام التي تعيش بأطراف البرية الممتدة على طول الساحل الآخر من خليج البرابرة، خلف الأراضي التي يتكاثر فيها الحصان البري، من هم أجدر بالذكر من الأورنيين. لقد منعني المعلومات غير الأكيدة، أو الملفقة التي يجي بها التجار، وأخطار الطريق، وعمليات سطو البدو من الوصول إلى إقليمتهم وأنه لو اوضح أن قراهم المتخلفة والمتناثرة تقع في منخفضات فيزتولا. وعلى خلاف السويديين، فإن الأورنيين يكشفون عن إيمان حق بالمسيح لم تلوثه النزعة الآرية أو عبادة الشيطان المتعطشة للدماء التي تستمد العوائل الملكية في إنكلترا وبلدان شمالية أخرى نسبها منها. كان لأورنيون رعاة، وناقلين وشامانات، وحدادي سيفوف، وصناعاً، وبسب صرامة الحرب فهم نادراً ما يجرئون الأرض. وإنهم ليتشابهون وقد جعل منهم السهوب والقبائل التي تجوبه مهرة في تدبير الجراد والقوس، ورماحهم أطول من رماحها، بما أن الفرسان هم الذين يستخدمونها، وليس الجنود الراحلون. قد يتخيل البعض أن الأورنيين لم يالفوا القلم والسداة والرق. لقد نحتوا حروفهم كما نحت أسلافنا الخط الروني الذي أوحاه لهم «أودن» بعد أن تدلى من

شجرة الرماد - أوردن وقد أعطي لأوردن - في تسعة أيام بلياليها.

إلى هذه المعلومات العامة أضيف نبذة مما أخبرني به عابر سبيل من أيسلندة، هو «أولف سموردسن»، وهو رجل ذو كلمات درينة ومحسوبة، التقينا في «أوبسالا» قرب الميكل. كانت قد اطفأت نار الأخشاب، ودخل البرد والصجر من خلال الشقوق المتفاوتة في الجدار. في الخارج كانت الذناب الرمادية التي تفتت على لحوم الوئيس الذين ضحروا للآلهة الثلاثة، قد تركت آثار حطائها القلقة على الثلج. ابتدأ حوارنا باللاتينية، كما هي عادة رجال الكنيسة، ولكننا سرعان ما تحولنا إلى لسان أهل الشمال الذي يمتد من «ثولة»^(١) على طول الطريق إلى أسواق آسيا.

قال الرجل

«بما أنني من نسل الشعراء الإسكندنافيين، فقد كان كفاً لي أن أعلم أن شعر الأورنيين يتألف من كلمة واحدة، لكي أطلق بحثاً عنهم وعن الطريق الذي يؤدي إلى أراضيهم وبعد رحلة إستمرت عاماً وصلت إلى هناك متعباً مكثوداً كان الوقت ليلاً وقد رشقني كل من الثقبته نظرة غريبة، ولم أنج من حجر أو حجرين. رأيت ضوءاً يبعث من كير حداد، فاقتربت منه. هيا لي الحداد، وكان اسمه «أورم» أسباب السكى تلك الليلة، كانت لغته لغتنا تقريباً. فتبادلنا بضع كلمات. وسمعت من شفته للمرة الأولى إسم الملك الحاكم «غونلاوغ». وعرفت أنه، بعد حرمة الأخيرة، كان ينظر بعين الشك إلى الغرباء، وأن من عادته أن يصلهم. ولكي أتجنب ذلك المصير الذي يتناسب هذا أكثر مما يتناسب لإنساناً، شرعت بتأليف «درابا» أو قصيدة غنائية تحتفي بانتصارات الملك وأجاده ورحمته. وكنت استظهرها عن ظهر قلب عندما رأيت رجلين يبحثان عني، لم أشأ أن أسلمهما سيفي، بل تبعتهما مختاراً.

كانت ما تزال ثمة بحوم في السماء. أجنزنا أول فسحة من عدة فسح في الأرض المكشوفة التي تنتشر الأكواخ على جاسيها. وكنت أتوقع وجود أهرمات. ولكن ما رأيته في منتصف تلك الساحة كان سارية خشبية صفراء. وفي أعلاها تينت صورة سمكة سوداء. قال أورم، الذي رافقتنا، أن السمكة هي «الكلمة». وفي الفسحة الأخرى رأيت سارية حمراء مرسوماً عليها قرص. وقال أورم أنها «الكلمة». سألته أن

(١) Thule. إسم أطلقه الإغريق والرومان على أرض تقع شمال بريطانيا. ويحتمل أن تكون أيسلندة، أو شتلندة.

يكشف عنها لي . كان حرفياً بسيطاً ، كما قال ، فلم يعرف . وفي الصفحة الثالثة ، التي كانت الأخيرة ، رأيت سارية مصبوغة بالأسود وعليها تصميم نسيته . في الجانب الآخر من الساحة كان هناك سور مستقيم طويل ، لم أر له نهاية على مرمى البصر وفيها بعد تبينت أنه دائري نسنده سطوح طينية ، وأنه ينطوي على حجرة واحدة ، وأنه يلتف على المدينة بكاملها .

كانت التحير المربوطة الى عمود المربط في الخارج ذوات قوام ضئيل وأهراف طويلة . ولم يكن مسموحاً للحداد بالدخول . في الداخل كان رجال مسلحون ، كلهم وقوف .

غوبلاوغ الملك ، الذي كان مترعكاً ، كان يضطجع وعيناه نصف متجهتين نحو جبل يتوارى فوق ما يشه المنصة . كان رجلاً صفراوياً هريلاً ، شيئاً مقدساً كاد أن يطويه النسيان ، تجثم فوق صدره الندب القديمة . فتح لي المجال أحد الجنود . وجاء بعضهم بقيثار . ترنمت بـ «الدرباب» بصوت خفيض ، وأنا راكع . ولم يكن ينقصها من فنون البلاغة مجز ، أو جناس ، أو نثر . لا أعرف ما إذا فهمها الملك أم لا ، ولكنه أعطاني خاتماً فضياً ما أزال أحتفظ به . ولحيت تحت ومادته حد حنجر . وكان على يمينه لوح شطرنج بمئة مربع وحفنة قطع متفرقة

دفعني الحرس الى الخلف . فاحتل مكاني رجل جلس أمام الملك ولم يركع . نفر القيثار وكأنه يضبطه . وبصوت خفيض همس تلك الكلمة التي جثت باحثاً عنها ، ولم أفهمها فهي كاملاً بعد .

قال أحدهم تهيب : «لم تعد يعني شيئاً» .

رأيت دموعاً تتساقط فرفع الرجل صوته أو عدله . وكانت أنغام قيثارة رتيبة تفيض باللامتناهي . فوددت لو استمرت أغنيته إلى الأبد ، ووددت لو صارت حياتي كلها . ثم بغتة توقفت الأغنية . سمعت الضوضاء التي أحدثها القيثار عندما انقضى به المغني أرضاً ، في دروة إنفعاله . وخرجنا بغير نظام جميعاً وكنت في آخرهم . ولأحظت مأخوذاً بالدهول أن الضوء يعلن عن بداية نهر آخر تمشيت بضع خطوات ، ولكنني توقفت حين شعرت بيد توضع على كتفي .

قال : «لقد كان خاتم الملك رفيك . ولكك لن تتأخر في مواجهة موتك ، لأنك سمعت الكلمة ، أنا بخارني ثوركيلسن ، سأنتذك . إني من نسل الشعراء الأسكندنافيين . وفي قصيدتك سميت الدم ما تظطره السيوف ، والحرب لبوس

الرجال. أتذكر أنني سمعت هذه الأسماء من أب أبي. أنا وأنت شاعران وسوف أتقذك. إننا هذه الأيام لا نسمي الشيء الذي تثيره أغنيتنا، بل نعبر عنه بكلمة واحدة هي «الكلمة».

قلت: «لم أكن قادراً على سماعها. أتوسل إليك أن تخبرني ما هي». صمت للحظة أو لحظتين وأجاب: «لقد أقسمت أن لا أشي بها. ولا أحد يستطيع أن يعلم أحداً آخر شيئاً. لا بد أن تجدنا بنمسل. والآن فلنسرع، حياتك في خطر. سأخبرك في سني حيث لا يجرؤ أحد على السح عتك، وإذا كانت الريح لصالحنا غداً فستبحر في النهر باتجاه الجيوب» وهكذا ابتدأت المعامرة التي دامت عدة شتاءات.

لن آتي هنا على ذكر ما حصل لي، وكيف سار حظي القلب لقد عملت مجدداً، وتاجر عبيد، وعبدأ، وحطاباً، وقاطع طريق، ومغنياً، وباحصاً للمياه العميقة والمعادن. ذقت الأسر، وقضيت عاماً في مناحم الزئبق، التي ترحي الأسماك وتلينها. حاربت جنباً إلى جنب مع سويديين في الحرس الفاراساني في ميكليغاردز وعن شواطئ بحر «أزوف» أحبتي امرأة لن أنساها أبداً، ثم تركتها، أو أنها هي التي تركتني الأمر سيان، لقد خدعتُ، وخُدِعتُ. أراد لي القدر أن أقتل أكثر من مرة. تحداني جندي يوناني، وخبرني بين سيفين. أحدهما كان أطول بشبر، ولأنني كنت أعرف أنه يريد تخويفي بهذا السلوك فقد اخترت الأقصر، وعندما سألتني عن السبب، قلت لأن المسافة من كليهما بين يدي وقله واحدة. وبمحاذاة البحر الأسود نقف رخامة القبر التي نقشتها بحروف رونية لرفيقي في السلاح «ليف آرناسن» قاتلت الرجال الزرق في «سيركلاند» وبعمرور انزم كنت عدة أشخاص لقد كان ذلك زويدة، حلياً طويلاً، ولكن في كل الأحوال كان الشر الوحيد المائل أمامي هو «الكلمة». كنت أفقد إيماني بها أحياناً. كنت أقول لنفسي أن من لعبت تكرار اللعبة الخفيفة في صم الكلمات الخفيفة، وما حدود البحث عن كلمة مفردة، قد تكون متخيلة. وكان ذلك جدلاً عقيماً اقترح علي أحد المشركين كلمة الله، ولكنني رفضت. وذات فجر، وأنا أتمشى على طول نهر يصب في بحر، اعتقدت أن كل شيء إتضع لي بما يشبه الألام.

حين عدت إلى أرض الأورنيين واجهت عدة متاعب حتى عثرت على بيت المغني وعندما عثرت عليه دخلت وجهرت باسمي كان المساء قد هبمن. من

المسطح طلب مني «نوركيلس» أن أشعل لشمعة في الشمعدان الرونزي . لقد استولت الشيوخوخة على وجهه لدرجة أنني لم أقو على مع نفسي من التفكير بأنني كنت شيخاً مثله . وكما جرت العادة فقد سألته عن مليكه .

قال : «لم يعد اسمه «غونلاوغ» أن له اسماً آخر الآن . حدثني عن أسفارك» حدثته عنها بترتيب دقيق وبتفاصيل كثيرة أغفلتها هنا . وقبل أن أنتهي سألي . «هل كنت تغني في تلك الأراضي؟»

لقد فاجأني سؤاله . قلت : «في البدايه عانيت لأحصل على رزقي . ثم علبني خوف لا أهمه بأنني اغتربت عن قيثاري وأعني» . قال : «حسناً ، واصل قصتك الآن» .

فحكيت له كل شيء ، وبعد أن انتهيت ساد بيننا صمت طويل . سألي : «ما الذي أعطتك أول امرأه أحستها؟» . قلت : «كل شيء» .

قال : «لقد أعطتني الحياة كل شيء أيضاً . الحياة تعطي كل شيء لكل شخص ، ولكن أكثر الناس عافلون عنها . إن صوتي لمتعب ، وإن أصابعي لضعيفة . ولكن أصغ لي»

تناول قيثاره وهمس بكلمة «أوبدر» التي تعني «الأعحوبة» . لقد ملأني أغنية الرجل المحتصر باخذل ، رأيت فيها أبياتي الأولى ، والمرأة الزنجية التي وهبتني حبي الأول ، الرجال الذين قتلهم ، رعشة الفجر ، انكسار المياه ، المجاديف ، أخذت القيثار وحنيت كلمة مختلفة .

قال الرجل الآخر ، وكان عي أن أقرب منه لكي أسمع «حسناً ، ها أنت تفهم»

وسماها يوتويا، وهي كلمة إغريقية
تعني لا يوجد مكان كهذا»
- كوفيديو -

يوتويا رجلٌ مُتَعَبٌ

لا يوجد تلالٌ متشابهان، رغم أن سهول لأرض جيعاً تتشابه. كنت أغد خطاي في تلك البلدة منسائلاً مع نفسي، دون أن يهمني ذلك حقيقة، ما إذا كانت هذه أوكالاھوما أو نكساس، أو ذلك الجزء من الأرجنتين الذي يُسميه الأدباء «السهل المترامي لأطراف». لم أرَ سيحاحاً على اليمين أو اليسار وكما حدث في مناسبات أخرى رددت مع نفسي هدير البتير الذي لا يمكن إستفادهما من شعر أميليو أوربيي :

في قلب السهل المرعب اللاتيني
وقرباً من حدود البرازيل .

لم يكن الطريق مستوياً. وابتدأ المطر ماططول. وعلى بعد مائتي أو ثلاثمائة ياردة، رأيت ضوءاً يبعث من بيت حفيظ تسوره الأشجار. فتح الباب رجل أثار طوله الفارع رعيي. كان يرتدي ملابس رمادية. وشعرت أنه كان بإنظار شخص ما. ولم يكن على الباب قفل.

دخلنا غرفة طويلة ذات جدران خشبية فيها منضدة وكراسي. وكان ثمة مصباح يتدلى من السقف يطلق ضوءاً أصفر. ولسب ما بدت الطاولة في غربة. وقد أُنصبت فوقها ساعة رملية، لم تلمح منها عيناى سوى نقش معدني أول الأمر. وأشار إلي لرحل للجلوس على أحد الكرسي، جربت أن أتكلم معه عدة لغات، ولم تفاهم، وحين تكلم أحيراً تكلم باللاتينية. نفضت الغبار عما تُذكره من أيام دراستي الفصية، وقد أعددت نفسي للنقاش.

قال: ومن ملايسك أرى أنك قادم من قرنٍ آخر. والاختلاف في اللغات كان مبعث إختلاف بين الشعوب بل كن مبعث حروب أيضاً. ولهذا فقد عاد العالم الى

اللاتينية. وهناك من يحشون عليه أن يرتد إلى الفرنسية أو اللبموزية، أو الباياميتو ولكن ذلك لا يشكل خطراً مباشراً. ومهما يكن الأمر فلا الماضي بشاغل لي ولا الحاضر.

لم أقل شيئاً، فأضاف: «إذا لم تمنع في مراقبة شخص يأكل، هل ستشاركني؟».

قلت: «معم» وقد رأيت أنه لاحظ إرتساكي. دخلنا إلى رواق، بأسواب على جانبيه، أدّى إلى مطبخ صغير كل شيء فيه مصنوع من المعدن. عدنا بالعشاء على صينية وكان عبارة عن أوعية من الذرة المقددة، وعقود عس، وفاكهة غريبة ذكرني طعمها بالتين، وإبريق ماء كبير. وإذا لم تحني الذاكرة لم يكن هناك خبر، كانت ملامح مضيئي حادة، وكان ثمة شيء غير عادي حول عيبه. لن أنسى وجهه الشاحب القاتم، الذي لن أراه ثانية أبداً ولم تصدر عنه أية إشارة عندما تكلم. تطني النقاش باللاتينية، غير أنني قلت أخيراً: «الم يترك ظهوري المفاجئ؟».

قال: «كلا نحن نستقبل الضيوف من قرن إلى قرن إنهم لا يقضون طويلاً. غداً إذا تأخرت ستعود إلى بيتك».

أعادت الثقة الواضحة في صوته انطمأينة إلى نفسي. وفكرت أن من المناسب أن أقدم نفسي: «يودورو أسفيدو. ولدت عام ١٨٩٧ في مدينة بويس آيرس. عمري سبعون سنة. وأنا أستاذ اللغة الانكليزية والأدب الأمريكي، وكاتب قصص خيالية».

قال: «أتذكر أنني تمتعت بقراءة قصتين خياليتين. أسفار القبطان ليموثيل غوليمر، التي يعتقد الكثيرون أنها حقيقة، ولخلاصة اللاهوتية Summa Theologiae. ولكن فلندع الحديث عن الوقائع. فالوقائع لا تهم أحداً. إنها مجرد نقاط انطلاق للإختراع والاستدلال. نحن نتعلم في المدارس الشك وفي النسيان، ولاسيما سيان ما هو شخصي وعلمي. إننا نعيش في الزمان، الذي هو تناعي. ولكننا نحاول أن نعيش في الزمان، الذي هو تناعي، ولكننا نحاول أن نعيش من وجهة نظر الأبدية Sub speie aeternitatis*. لم نستبق من الماضي سوى أساء قليلة، تميل اللغات إلى تجاوزها ونحصر معرض عن التفاصيل العقيمة. فليس لنا تقويم أو تاريخ، وليس لنا إحصاء. قلت أن إسمك يودورو. لا أستطيع أن أحرك ما إسمي لأنني أدعى

★ العبارات لاتينية في الأصل

«أحد ما، فقط» .
«وماذا كان إسم أبك؟» .
«لم يكن له إسم»

على أحد الحيطن رأيت رفاً . فتحت كتاباً كيفما اتفق ؛ كانت الحروف نظيفة ومعظمومة ، وكانت مكتوبة بخط اليد . ذكرني خطوطها المزوية بالابجدية الرونية التي لم تكن تستعمل إلا في كتابة النقوش . فكرت أن رجال المستقبل هؤلاء لم يكونوا أطول فقط ، بل كانوا أبرع أيضاً . ونظرت تلقائياً الى أصابع الرجل الطويلة الحميلة .

قال : «سرى الآن ما لم نره أنداء» . وملولني نسخة من كتاب «يوتوبيا» لتوماس مور ، مطبوعة في بارل عام ١٨١٥ ، وكانت بعض أوراقها وصفحاتها مفقودة .
أجبت شيء من الغباء : «أنه كتاب مطبوع . في البيت عدلي ما يزيد على ألفي نسخة منه . رغم أنها ليست أقدم ولا أثمن من هذه النسخة» . وقرأت العنوان بصوت عالٍ .

ضحك الرجل : «لا أحد يستطيع أن يقرأ ألفي كتاب . في القرون الأربعة التي عشتها ، لم أقرأ أكثر من نصف دزينة من الكتب . فضلاً عن ذلك ، فإن إعادة القراءة ، وليس القراءة هي ما يهم والطباعة التي هي الآن ملغاة بما أنها كانت تمثل الى مصاعمة النصوص غير الضرورية الى حد الدوار . كانت واحدة من أسوأ الشرور البشرية» .

قلت : «في ماضي الغرب كانت هناك خرافة سائدة أن أحداثاً معينة تقع بين المساء والصبح من كل يوم ، من المخجل أن يجهلها المرء . كانت الأرض مأهولة بأشباح جمعية : كندا ، البرازيل ، كونغو السويسرية ، السوق المشتركة . لم يكن أحد عارفاً بأي شيء عن التاريخ الذي يسبق هذه الكيانات الأفلاطونية . ولكنهم بالطبع كانوا يعرفون آخر التفاصيل لكاملة عن أحدث إجتراح للتربوين ، أو عن الانهيار الوشيك في العلاقات الدبلوماسية ، أو البيانات التي يحررها الرؤساء ، ويرفعها مستشار المستشار زاخرة بالكلمات الضاية الأقرب إلى روح الأدب . كانت هذه الأشياء تقرأ للنسي بعد ساعات ، وتحل محلها نقاشات أخرى . وفي جميع الدوائر كان السياسي أكثر الناس شعبية . فالسفير أو الوزير كان أشبه بالشخص المقعد العاجز الذي يجب أن ينقل في صف طويل وصاخب من العربات ، يتحلق حوله راكبو الدراجات والمواكب العسكرية ، وينتظرون المصورون المتربصون . وكان أقدمهم

نطعت، كما تعودت أمي أن تقول . كانت الصور والكلمات المطبوعة أكثر واقعية من الأشياء التي تمثلها . وكان المطبوع فقط واقعياً . الموجود هو المصور : *Esse est percipi* . كان بداية مثالنا الفريد عن العالم ومتصفه وهائته . في ماضيت ذلك . كان الناس سذجاً . وكانوا يعتقدون بجودة السلع لأن صانعيها يقولون ذلك مراراً وتكراراً . وكانت السرقات متعشية أيضاً ، رغم أن الجميع يعرفون أن المال لن يذّر سعادة أو يأتي براحة البال .

أعاد الرجل : «المال؟ مضي عهد المعاناة من الفقر المدقع أو الثروة المتبطرة .
والآن فإن لكل شخص مهنة» .
قلت : «كالأخبار» .

لم يبد عليه أنه فهمني فواصل : «لقد اختفت تلك المدن . ولم يختلف تماماً الاحتكام إلى أطلال «باهي بلانكا» التي استكشفتها يوماً الآن لا توجد ممتلكات شخصية ، ولا توجد موارث . في عمر المئة عندما ينضج الانسان يكون قادراً على الالتقاء وجهاً لوجه مع نفسه ووجدته . وعندئذ ينجب طفلاً»
سألت : «طفل واحد فقط؟» .

«نعم واحد فقط . لا داعي لاستمرار الجنس البشري . يعتقد البعض أن الانسان لسان حال الربوبية للوعي الكوني . ولكن لا أحد واثق تماماً من وجود مثل هذه الربوبية . ومحاسن الانحار ، بطيئاً كان أو فورياً ، ومساوئه عند الرجال والنساء على الأرض هي كما أظن موضع نقاش الآن . ولكن فلنعد لما كنا نقول» .
وافقته .

«حين يعمل العمر بالفرد إلى المئة ، لا يعود بحاجة إلى الحب أو الصداقة . ولا يشكل الشر والموت القسري تهديداً له . فهو يمارس أحد الفنون أو الفلسفة أو الرياضيات ، أو يلعب الشطرنج مع نفسه . ويقتل نفسه حين يريد فالانسان سيّد حياته . كما أنه سيّد موته» .

سألته : «هل هذا اقتباس؟» .

«بالطبع ، فالإقتباس هو كل ما لدينا لأن إنّ اللغة هي نسق من الإقتباسات» .

سألته : «والمغامرة الكبرى لعصرنا - أعني السفر في الفضاء؟»

«توقفت تلك الأسعار منذ فرون . لقد كانت بالتأكيد مصدر إعجاب لكننا لا

نستطيع أن نتخلى عن الوجود في هنا والآن». ثم أصاب بانسامة: «بالإضافة إلى ذلك فكل سفر هو سفر في الفضاء. الذهاب من كوكب إلى آخر كالذهاب إلى المزرعة عبر الطريق. حين دخلت إلى هذه العرفة فقد قمت بجولة في الفضاء». قلت: «هذا صحيح. وقد تعود لمرء على الحدث عن المواد الكيميائية والحيوانات».

أدار لي الرجل ظهره ومطر إلى الخارج. وراء النافذة كان سهل الأبيض يتلقى نديف الثلج الصامت وصوء القمر. جمعت ما احتزنه من شحاعة وسألته: «أما زالت عندكم متاحف ومكاتب؟». «كلا، نحن نحاول أن ننسى الماضي، إلا للكتابة المراثي. لا يوجد إحتفاء أو ذكرى سنوية أو غمائل لميت الآن. كل منا يجب أن يتج ما يحتاجه من فنون وآداب وعلوم».

«إذن فكل شخص يجب أن يكون «برناردشو» الخاص به، ويسوع المسيح الخاص به، و«آر حيدس» الخاص به».

وافق دون أن يبس بكلمة

«وماداً حصل للحكومات؟».

«وفقاً للتقاليد، فقد سقطت في الإهمال التدريجي. كانت الحكومات ندعو للانتخابات، وتعلن الحروب، وتجمع الضرائب، وتصدر الثروات، وتأمّر بالاعتقالات، وتحاول أن تفرص الرقابة، وم يكن على الأرض من يطيعها. توقفت الصحافة عن نشر أحوار رعياء الحكومات وتصاويرهم. وكان على الساسة أن يجدوا عملاً شريفاً. بعضهم تحوّل إلى كوميدي جيد وبعضهم إلى داعية إيمان جيد. ربما كان ما حدث أعقد من هذه الخلاصة» ثم واصل بعد أن غرّ نرته: «لقد بنيت هذا البيت الذي لا يختلف عن غيره من البيوت. نفتت أذنه ومحتواته بنفسه. عملت هذه الحفول، التي سيأتي آخرون لا أعرفهم ويطوروها. هل لي أن أعرض عليك بعض الأشياء؟».

نبعته إلى غرفة مجاورة. أعضاء مصباحاً كالأول كان أيضاً يتدلى من السقف. في إحدى الزوايا رأيت فيثاراً به بعض الأوتار. وعلى الجدران كانت ثمة لوحات زيتية مستطيلة يغلب عليها اللون الأصفر. ولم يبد أنها من صنع يد واحدة.

قال: «ذلك هو عمي».

تفحصت اللوحات، واقفاً إزاء اللوحة الصغرى، التي كانت تمثل الغروب أو
نوحى به، وكانت تطوي على شيء لا متناه. قال حاداً: «تستطيع أن تحتفظ بها كذكاء من صديق المستقبل، إذا شئت». شكرته على ذلك. غير أن لوحات أخرى أثارت قلقي. لا أقول أنها كانت فارغة تماماً، ولكنها توشك أن تكون فارغة. قال: «إن مرسومه بالواد لا تستطيع أن تراها عينك التي تنتمي إلى الزمن الماضي»

بعد لحظة، وما أن لامست أمامه الرهيفة أوتار الفيثار حتى سمعت بالكاد صوتاً اتفاقياً. ثم سمعنا طرقاً. دخلت الدار امرأة طويلة مع ثلاثة أو أربعة رجال. وقد نظر طائفة منهم أحدهم أو أن الزمن قد شابه بين ملاحظهم. تكلم مضيفي مع المرأة أولاً: «علمت أنك ستجئين الليلة. هل ترين «بلز»؟» «بين فترة وأخرى، م يرال كهده مكرساً نفسه للرسم» «عسى أن يكون موفقاً أكثر من أبيه».

وبدا تجريد الغرفة من كل شيء. المحفوظات، الصور، الأثاث، المنحوتات، لم ندع شيئاً في البيت. اشتغلت المرأة جنباً إلى جنب مع الرجال. وكنت خجلاً من ضيفي الذي لم يسمح لي بتقديم عون كبير. وخرجنا محملين بالأشياء ولم نعتق الدب وراءنا. لاحظت أن السقف كان على شكل سرح. وبعد أن مشينا خمس عشرة دقيقة استدرنا يساراً. في الفسحة ميزت ما يشبه البرج، تتوجه فيه. قال أحدهم: «إنها المحرقة، وفي داخلها غرفة الموت» يقال أن مبتدعها أحد الأخيار واسمه على ما اعتقد، كان أدولف هتلر».

فتح الوكيل الذي لم يدهشي قومه الطويل الباب لنا وتبادل مضيفي معه بضع كلمات وقبل اجتياز الباب لوح له مودعاً قالت المرأة: «يبدو أن الثلج سيزداد غزارة».

في مكتبي في شارع مكسيكو في بونوس آيرس، امتلك الآن لوحة زينة سيرسها شخص ما بعد آلاف من السنوات بمواد تتورع الآن فوق جميع أسحاء الكوكب.

الرشوة

تتعلق هذه القصة برجلين أو بالأحرى بحدث يشترك فيه رجلان . وليس ما حصل بينهما مهم ، فهو ليس بفريد ولا حارق للمألوف ، قدر أهمية شخصية الطفلين . لقد ركب كليهما الخيلاء ولكن بأساليب مختلفة وبعواقب مخففة أيضاً . وقد وقعت هذه الاحداث (لا اله لا تريد عن كرمها احدثه) قبل فترة وجيزة . وفي تقديري فإن لا تحدث إلا حيث حدثت في أمريكا .

لقد اتفق لي أن كنت في جامعة تكساس في أوستر لكي أتحدث بالتفصيل مع أحد الرجلين ، وهو الدكتور أزر ونشروب كان ذلك عند نهاية ١٩٦٦ كان ونشروب أستاذ اللغة الانجليزية القديمة (دو لا يستحسن مصطلح الأنفلو سكسونية ويراها مولداً من كلمتين) . وما رلت أنذكر أنه صحح لي أخطاءني الكثيرة ومسلسل الافتراضات الخاطئة التي كنت أقرب باللعنة دون أن يختلف معي مرة وقد قيل لي أنه لم يكن يسأل طلابه في امتحانه أي سؤال ، بل يترك لهم اختبار هذا أو ذاك من المواضيع والتوسع فيه . وقد كان صعباً عليه أن يتعود على عادات أهل الحروب وتعاملهم . واستيقظ في داخله الشوق للثلج ، وقد لاحظت أن الشياطين يتكيفون مع البرد ، خيراً مما يتكيف نحن الأرخبنتيين مع الحر . وما تزال ماثلة أمامي صورة ، أخذت الآن بالثلاثي ، لرحل طويل قليلاً ، ذي شعر أشيب ، رشيق أكثر مما هو قوي . وما برحت وصحة ذكرى زميله هربت لوك الذي أهداني نسخة من كتابه «نحو تاريخ للمجاز» حيث يقرأ فيه المرء أن السكون لم يستغنوا طويلاً عن تلك الاستعارات الآلية تقريباً (مثل «طريق الحوت» للبحر، و«باز الحروب» للصفر) بينما استمر الشعراء الاسكندنافيون في نسج هذه الاستعارات وصممها صماً لا فكاك منه . وأنا أذكر هربت لوك لأنه جزء مكمل لقصتي



والآن أصل الى الأيسلندي «إريك أيلارسن» الذي ربما كان بطل القصة حقاً. لم يتح لي أن ألتقي به وجهاً لوجه. فقد وصل تكساس عام ١٩٦٩ عدم كنت في كامبرج غير أن رسائل صديق مشترك لكلينا هو رومان مارتني تركت في شعوراً بأنني أعرفه معرفة حميمة. أعرف أنه كان متهوراً، ونشيطاً، وبارداً، وطويلاً في أرض الطوال. وبسبب شعره الأحمر، كان لا بدُ لتلاميذه أن يلقبوه بـ «إريك الأحمر». وكان من رأيه أن استعمال العامية عند الاجنبي اضطراب وخطأ يجعل منه متطعلاً ولهذا فهو لا يتنازل حتى يقول «أوكي» في مناسبة معينة. عالم جاد للغات النوردية، والانكليزية، واللاتينية، والألمانية، - رغم أنه لا يعترف هذه - ولم يجد صعوبة في الوصول الى الجامعات الأمريكية.

كان أول عمل ذي أهمية لايتارسن هو دراسة أربع مقالات كتبها دي كوسي عد الأصول الدانماركية للهجة الكروميرانية. وقد اتع هذا العمل دراسة واحدة من اللهجات الريفية في «بوركشاير» وكان استقال كلا للطبعين حساً، غير أن ايلارسن شعر بأن عمله ما زان يفقر الى المزيد. وفي عام ١٩٧٠ نشرت مطبعة جامعة ييل كتابه القدي المطول عن «معركة مالدون». لم يكن بالامكان انكار دقة الملاحظات التي أبداها ايلارسن، ومع ذلك، فإن في المقدمة بعض الافتراضات التي أثارت جدلاً في أغلب الأوساط السرية الأكاديمية. فهو يذكر هناك مثلاً أن للتصيدة صلة من حيث الأسلوب - حتى لو كانت صلة بعيدة - بشذرة «فنسور» البطولية، وليس بملاغة «سيولف» المثانة، وأن تناولها للتفاصيل الظرفية المتعيرة ننذر إنذاراً غريباً بالطرق والأساليب التي تعجب بها إعجاباً لا يخلو من حق في الأساطير الأيسلندية. وقد صحح أيضاً عدداً من القراءات في نص المستون. وقد أصبح ايلارسن استاذاً في تكساس حال وصوله إليها

إن المؤتمرات الأكاديمية، كما يعلم الجميع، كثيرة وشائعة في الجامعات الأمريكية. وقد قدّم الدكتور ونثروب من جانبه بحثاً في إحدى الندوات الجرمانية المهمة قبل سنة في ولاية ميشيغان. وطلب رئيس القسم الذي كان موشكاً على التمتع بإجازته، من ونثروب أن يختار موقفاً لآلقاء بحث في المؤتمر القادم الذي سيعقد في وسكونسن. ولم يكن هناك غير مرشحين اثنين هما هروبرت لوك ولديك أيلارسن.

كان ونثروب، مثل كارلايل، ينكر الإيمان التطهري عند أسلافه، ولكن ليس أخلاق هذا الإيمان. كانت مهمته واضحة ولم يتأخر عن إسداء النصيحة. وإذا عدنا

إلى سنة ١٩٥٤ فإن هربرت لوك لم يحل بمساعدته. ولاسيما فيما يخص نشرة الملاي مالخواشي عن بيولوف التي حلت محل نشرة كلاير في بعض الجامعات. كان لوك يعمل على تصنيف معجم جرماي - إنكليزي يمكن أن يخلص لقراء من عبء المعاجم الاشتقاقية الذي لا طائل له. كان الأيسلندي أصغر سناً، وقد أكسبته عرفته كره الناس، بما في ذلك ونثروب. بينما عادت الطبعة النقدية التي أعدها أيدرس لـ «مالدون» عليه بالشهرة الواسعة. كان سيد الجدل والتناظر، وفي الندوة كان يحث في حجر، قياساً نظيره الحجول الميال إلى الصمت: لوك

كان ونثروب في غمرة هذه التأملات عندما ظهرت في أعمدة العرض في فصيلة ييل الفلسفية مادة مطولة عن تدريس اللغة الألبوسكسونية. كانت القطعة موقعة بالحروف الأولى من اسم كاتبها! إوكأها تريد أن تهدي الظنون، ثم وضع الكاتب تحت ذلك اسم جامعة تكساس. ورغم أن القطعة قد كتبت بأسلوب مهذب - إلا أنها كانت تجسد نوعاً من العنف - رادعت أن الابتداء بدراسة اللغة الأنغلو سكسونية عن طريق دراسة بيولوف، الذي تعود أعماله إلى فترة أسبق وإن تكن مكتوبة بأسلوب شبه مرجلي وبلاغي، هذه الدابة، لا تقل تعسفاً عن دراسة الانكليزية ابتداء من شعر ملتون المحكم. ودعا كاتبها إلى تغيير النظام الأنثري بالابتداء من قصيدة (القبر) التي كتبت في القرن الحادي عشر، بلغة يومية إعتيادية، ثم بعد ذلك العودة إلى الأصول. وفيما يخص بيولوف كانت تكفي بعض المقتطفات المملة بما يريد على ثلاثة آلاف بيت - مثلاً الطقوس الحنثائية لـ (شيلد) الذي جاء من البحر وعاد إلى البحر. ولم يكن إسم ونثروب مذكوراً في المقالة، لكنه شعر بأنه المقصود من هذا المحوم غير المعلن ولم يهّمه هذا بقدر ما أهّمه الطعن بمنحه في التدريس.

بعد ذلك بعدة أيام. ولكي يكون ونثروب مصفاً، لم يسمح لمقالة أينارسن التي أصبحت موضع تعليقات واسعة أن تؤثر في قراره. وقد سبّب له الخيار بين لوك والأيسلندي أكثر من مشكلة. تحدث ونثروب مع بي روزنتال، رئيس القسم، ذات صباح، وفي نفس الظهيرة تم تسيس أينارسن رسمياً للقيام بالرحلة إلى وسكونسن. مساء يوم رحيله، ذهب أينارسن إلى مكتب أزرا ونثروب. كان عليه أن يودعه وأن يشكره. كانت إحدى الوافد مفتوحة على شارع تنتظم الأشجار على جانبيه، وقد أحاطت رفوف الكتب بالرجلين. وسرعان ما انتبه أينارسن إلى الطبعة الأولى من اد «إيدا» الأيسلندية مجلدة بورق الرق. فأخبره ونثروب أنه كان واثقاً من قيام

أينارسن بمهمته على أحسن وجه، وأنه لم يقم بشيء يستحق الشكر. وقد طالت مناقشتها، إذا لم تخفي الذاكرة.

قال اينارسن: «لتحدث بصراحة. الكل يعرف أن تشريفي بتمثيل الجامعة، قد قام به رورتال بتوصية منث. وأنا مدرس جرمانى جيد، وسأبذل قصارى جهدي حتى لا أحيه. إن لغة طفولتي هي لغة الأساطير الأيسلندية، وأنا اللفظ الأنغلوسكسونية خيراً من زبلي البريطاني. وتلاميذي يتطفون الأنغلوسكسونية على أحسن وجه. وهم يعلمون أن التدخين ممنوع متعاً بنا أثناء محاضراتي، وأهم لا يستطيعون أن يلبسوا ملابس الهيبيين. أنا مناصفي الذي لم يحالفه النجاح، فقد كان مما يجاب الذوق أن أتقده. وقد أظهر في كتابه ليس فقط بحثه في المصادر الأصلية، بل أيضاً كل ما يتعلق بـ «مايسر» و «ماركوارت». ولكن فلنترك هذا الهراء جانباً يتوجب عليّ أن أوضح لك توضيحاً شخصياً».

صمت اينارسن، ونظر خارج البافذة ثم قال:

«لقد تركت بسدي عند نهاية ١٩٦٤. وعندما يوي المرء أن يهاجر الى بلد بعيد، فإنه يفرص على نفسه فرضاً ضرورة التقدم المتواصل في ذلك البلد. ولقد أردت من أول عمليين كتيبتها، وكانا عمليين فيلولوجيين إظهار قدرتي والكشف عنها. وواضح أن ذلك لم يكن كافياً. فقد كنت دائماً مهتماً «بمعركة مالدوز»، التي أستطيع أن أرددها عن ظهر قلب دون أن أرتكب فيها خطأ يذكر. وقد نجحت في إقناع جامعة ييل بطبع كتابي عنها. والقصيدة كما تعلم نسجل الانتصار الترويجي، أنا فيها يخص تأثيرها بالأساطير الأيسلندية المتأخرة فأنا أرى أن ذلك افتراض غير مقبول وعبث لا جدوى منه. وقد ألمحت الى هذا لأرضي غرور القراء الناطقين بالانكليزية فقط».

استمر الأيسلندي بالتحديق الى ونثروب:

«نصل الآن إلى زبدة الموضوع، أي القطعة الجدلية التي كتيبتها في المجلة الفصلية. وهي كما تعلم تبرر أو تحاول أن تبرر مذهبي المعكري، لكنها نبالغ في التصدي لمنهجك الذي يكلف الطالب عناء مراجعة ثلاثة آلاف بيت من الشعر العسير الذي يروي قصة مرتبكة، والذي يجره الى فهم عدد كبير من المفردات تاركاً له فرصة الاستمتاع - إن لم يتوقف عن ذلك حينئذ - بالمجموعة الكاملة من الأدب الأنغلوسكسوني. لقد كان هدفي الحقيقي هو الذهاب الى وسكونسن. وأنت وأنا،

يا صديقي العزيز نعلم أن هذه المؤتمرات غبية وأنها تستلزم تكاليف حمقاء . ولكنها لا تخلو من نفع وظيفي» .

نظر إليه ونثروب مندهشاً . كان الإنكليزي الجديد رجلاً ذكياً ، وكان يريد أن يأخذ الأمور مأخذ الجد بها في ذلك المؤتمرات والعام ، وهو ما قد يكون نكتة كرونية واصل أينارسن القول : «لعلك تتذكر حوارنا الأول . لقد وصلت إلى نيويورك يوم أحد . وكانت مطاعم الجامعة مغلقة ، فتناولنا طعامنا في مطعم «بايتهوك» . من ذلك اللقاء تعلمت شيء الكثير وبوصفي أوروبياً طيباً ، فقد كنت أفترض دائماً أن الحرب الأهلية الأمريكية كانت حملة عنيفة ضد ملاك العبيد . وكنت أنت قد ذكرت أن الجنوب من حقّه أن يرغب في الاسحاب من الاتحاد وأن يحتفظ بدستوره الخاص . ولكي تمرّز ما كنت تقويه قلت لي أنك شمالي ، وأن أحد أسلافك في تلك الحرب في صفوف هنري هالث . وامتدحت شجاعة الاتحاديين ، إن لي حاسة تمييز غير اعتيادية في التقييم الفوري ، وكان ذلك الصباح كافياً لي . أدركت يا صديقي ونثروب أن نزعة الأمريكان الغربية في النزاهة تسيطر عليك ، وأنت تريد قل كل شيء أن تكون صافي الذهن . فقط لأنك شمالي تحاول أن تفهم وأن تترّ قضية الجنوب . وما إن علمت أن رحلتي الى وسكونسن تتوقف على ما يقوله لروزنتال حتى دفعت العvisية لنشر مقالتي عارفاً أن أفضل السبل للحصول على اختيارك هو نقد منهجك في التدريس» .

حيّمت صمعت طويل ، ثم قطعه ونثروب :

«إنني صديق قديم هيربرت ، وأقدر عمله ، وقد هاجمتني هجوماً مباشراً أو عبر مباشر . ولعل عدم ترشيحي لك سيكون نوعاً من الأحذ بالثأر . لقد فاضت بين كهاتيكما وأنت تعرف النتيجة» .

ثم أضاف وكأنه يهكر بصوت عالٍ :

«ربما تحلست عن خيلاء الثأر لنفسي . وكما ترى فقد أعلحت حيلتك» .

أجاب أنارسن :

«الحيلة كلمة مناسبة ، بيد أبي لست بأسف على ما فعلت» سأصرف دائماً بها فيه

مصلحة القسم ، مهما كان الثمن فقد أردت الذهاب الى وسكونسن» .

قال ونثروب وهو يظفر في عيني إيسارسن .

«يا أول فابكغ لي» .

«خُرَافَة رومانسية أخرى، لا يكفي أن تنحدر من أصل اسكندنافي لكي تكون من الفايكنغ. لقد كان أجدادي قساوسة مخلصين في الكنيسة البروتستانتية، وربما كان أسلافي في مطلع القرن العاشر كهنة مخلصين لـ «ثور». وليس في عائتي ملاحون أبداً بقدرها أعلم»

«هناك الكثير منهم في عائلي. ولكننا مع ذلك لسنا مختلفين جداً خطيئة واحدة نشترك بها هي الخيلاء. لقد قمت بهذه الزيارة لكي تنباهي بحيلتك الدكية، وكان ردّي التباهي بأنني رجل مستقيم».

قال أينارسن:

«ثمة شيء آخر نشترك به أيضاً ألا وهو الجنسية، إني مواطن أمريكي، ومصري هنا، وليس في وافي الواقي^(١). وحواز السفر لا يغير جوهر الإنسان». ثم تصافحاً وودّعا بعضهما.

(١) التعبير في الأصل (Ultima Thule) وهو تعبير استعمله الرومان للإشارة إلى أبعد ارض يمكن أو الارض التي يستحيل الوصول إليها (المترجم)

القرص

أنا خطاب، وليس اسمي بهمهم. والكوخ الذي ولدت فيه، والذي ساموت فيه يقع بمحاذاة لغابة.

يقال عن الغابة أنها واسعة سعة البحر الذي يحيط بالأرض كلها، وأنها تنتشر فيها الأكواخ الخشبية مثل كوخي. لم يسبق لي أن رأيت ذلك البحر، ولا رأيت الجانب الآخر من الغابة. وعندما كنا في ميعه العسا، أقمنا أنا وأخي أن نحث الغابة من أولها حتى آخر شجرة فيها. ولكن أخي مات. فاختلف ما أبحث الآن، وما ساستمر في البحث عنه. وإلى جهة الغرب يجري جدول صغير أعرف كيف اصطاد فيه السمك بيدي. في الغابة توجد ذئاب كثيرة، ولكن الذئاب لا تخيفني. ولم تخدلي فاسي أبداً.

لم أفكر أبداً بعد سنوات عمري، فأما أعلم أنها كثيرة. وقد ضعف بصري، حتى اشتهرت بالبحل في القرية، لأنني لا أعامر بالذهاب إليها حتى لا أضلّ طريقتي. ولكن أي كنز يستطيع خطاب فقير أن يكتنز؟

تعودت أن أعلن باب كوشي بحجر، حتى لا ينفذ الثلج إلى داخله. ذات مساء قبل فترة طويلة، سمعت وقع خطي حثيثة ندنو، ثم سمعت طرقات. فتحت الباب فدخل عليّ غريب. كان شيخاً كبيراً وطويلاً يلتحف بدثار بالي. وثمة ندبة تسم وجهه. وبدا كما لو أن سنين عمره أضفت عليه سلطاناً بدل الضعف. ولكنني لاحظت أنه لم يكن قادراً على الحراك دون أن يستعين بعكاز. تبادلنا بعض الكلمات التي لا أتذكرها. وفي النهاية قال:

«لا بيت لي آوي إليه، وإنني لأنام حيث أستطيع. وقد جبت أرض السكسون هذه طويلاً وعرضاً».

كانت هذه الكلمات متوافقة مع سته . وكثيراً ما كان أبي يتحدث عن أرض
السكسون التي يسميها الناس إنكلترا الآن .

كان معي خبز وسمك . ولم تنفوه بكلمة أثناء الأكل . أخذ المطر بالنساقط ،
ففرشت له حشبة من قطع الجلد على الأرض ، في نفس المكان حيث مات أخي
وعندما هبط الليل ، أخذنا للنوم

حين تركنا الكوخ كاد النهار قد بزغ نوقف المطر ، واكتست الأرض بالثلج
المتساقط حديثاً وانزلت حكاكاز صاحبي من يده ، فطلب مني أن التقطه .

سألته : «ولم يتوجب عليّ أن أطيعك؟» .

أجاب : «لأنني ملك» .

طنته مجنوناً . التفطت العكاز ، وناولته إياه فتكلم بصوت مختلف . قال : «إني
ملك «السيكجن» . كنت أقود قومي من نصر الى نصر في خضم المعارك . وفي
اللحظة المصرية فقدت مملكتي . إسمي «إسيرن» وأنا من سلالة «أودن»
قلت : «لا أعبد «أودن» بل أعبد المسيح» .

واصل كما لو انه لم بسمعي : «لقد أوغلت في المعنى ، ولكنني ما أزال ملكاً ،
لأن معي القرص . هل تريد أن تراه؟» .

فتح راحة يده لسحيلة ، ولم يكن فيها شيء . فتذكرت حينئذ أنه كان يقي على
يده مقبوضة دائماً .

قال : وهو يحدق بي «تستطيع أن تلمسها» .

لمست بأطراف أصابعي راحة يده بشيء من الارتباك فشعرت بالبرودة ، ورأيت
لمعاناً . ثم انقبضت يده بشكل مفاجئ . لم أقل شيئاً . واستمر الرجل بنفاد صبر كما
لو كان يتكلم مع طفل ، قال :

«إنه قرص أودن ، وله وجه واحد فقط . ليس في العالم كله شيء سواه بوجه
واحد فقط . وسأبقى ملكاً ما بقي معي هذا القرص» .

قلت : «هل هو من ذهب؟» .

«لا أعرف . إنه قرص أودن ، وله وجه واحد فقط» .

عددت غلب عليّ الطمع في أن أمتلك القرص لو كان ملكي لتمكنت من
مقايضته بسيكة ذهبية وصرت ملكاً . قلت للشريد الذي ما كعمت عن كرهه حتى
الآن : «لقد دفنت في كوخ صندوق مطع ذهبية ، وإيها لتمتع لمعان العاس . لو

أعطيتني قرص أودد، لقايتك به ذلك لهسوق» .

قال بصاد «كلا، لا أريد ذلك» .

قلت: «إذن مستواصل تطوافك!» .

أدار لي ظهره . كانت ضربة واحدة بالفأس على ظهر عنقه أكثر من كافية لإسقاطه أرضاً . وما إن سقط حتى انفتحت راحته فرأيت لمعنا في الهواء . أثرت إلى موضع سقوط القرص بفأسي ، وسحب الرجل الميت إلى المهر الذي كان سريع الجريان . وهناك القيته فيه .

حين عدت إلى الكوخ فتشت عن القرص ولكنني لم أجده ، ومنذ سنوات عديدة ، وأنا ما أزال أبحث عن ذلك القرص

كتاب الرمل

يَتَكَوَّنُ السَّطَرُ مِنْ عَدَدٍ لَا مَتَاوٍ مِنَ النِّقَاطِ، وَالسَّطْحُ مِنْ عَدَدٍ لَا مَتَاوٍ مِنَ السُّطُورِ، وَالكِتَابُ مِنْ عَدَدٍ لَا مَتَاوٍ مِنَ السُّطُوحِ، وَالْمَدُونَةُ مِنْ عَدَدٍ لَا مَتَاوٍ مِنَ الْكُتُبِ لَا لَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْبِدَايَةَ الْهَنْدَسِيَّةَ لَيْسَتْ أَفْضَلَ الطَّرِيقَ لِابْتِدَاءِ قِصَّتِي. فَلَتَتَّبِعْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنَّ نَدْعِي عِنْدَ مَفْتَتِحِ كُلِّ قِصَّةٍ مَوْضُوعَةً أَنَّهَا قِصَّةٌ حَقِيقَةٌ وَمَعَ ذَلِكَ فَبِنِ الْقِصَّةِ الَّتِي أُرْوِيهَا هُنَا حَقِيقَةً فَعَلًا.

أَعْبَشْتُ بِمُفْرَدِي فِي الطَّبَاقِ الرَّابِعِ مِنْ شَقَّةٍ فِي شَارِعِ «بَلْعَرَاتُو» فِي «بُونِسْ أَيْرِس». دَتِ مَسَاءً، قَبْلَ عِدَّةِ شُهُورٍ، سَمِعْتُ طَرَقًا عَلَى الْبَابِ. فَتَحْتُهُ وَوَجَدْتُ أَنَّ غَرِيبًا يَقِفُ وَرَاءَهُ. كَانَ رَجُلًا طَوِيلًا بِمَلَامَحٍ لَا تُوصَفُ. أَوْرَبِيَّا كَانَ ضَعْفُ بَصَرِي السَّبَبُ فِي ظَهْوَرِهِ بِذَلِكَ الْمَظْهَرِ. كَانَتْ ثِيَابُهُ رَمَادِيَّةً، وَكَانَ يَحْمِلُ حَقِيقَةً رَمَادِيَّةً فِي يَدِهِ، وَقَدْ نَمَتْ هَيَاتُهُ عَنْ فَقْرٍ لَا تَبْذُلُ بِهِ.

لَا حَظَّتْ عَلَى الْعُورِ أَنَّهُ أَجْنَبِيٌّ فِي الْبِدَايَةِ تَوَحُّمَتُهُ كَبِيرًا فِي الْمَسِ وَبَيَا بَعْدَ فَقْطِ تَبَيَّنَتْ أَنَّ شَعْرَهُ الْأَشْقَرَ الْمَتَرَقِّ قَدْ صَلَّلَنِي. كَانَ شَعْرُهُ مَرْنِبًا عَلَى الطَّرِيقَةِ الْأَسْكَنْدَنَافِيَّةِ، وَقَدْ وَخَطَهُ الْبَيَاضُ. وَفِي سِيَاقِ مَقَاشَا الَّذِي لَمْ يَسْتَفْرِقْ سَاعَةً إِكْتَشَفْتُ أَنَّ جَاءَ مِنْ «أَوْرُ كَنْيِز».

دَعَوْتُهُ لِلدَّخُولِ، وَأَشْرَفْتُ إِلَى كُرْسِيٍّ. صَعِمْتُ لِلْحِظَّةِ قَبْلَ أَنَّهُ يَنْكَلِمُ. كَانَتْ مَسْحَةٌ مِنَ الْكَتَابَةِ تَغْفِيضُ مِنْ وَجْهِهِ، كَمَا تَغْفِيضُ الْآنَ مِنْ وَجْهِهِ

قال: «إِنِّي أبيعُ الْإِنَاجِيلَ».

أَحْبَبْتُ بَشِيءًا مِنَ التَّحْذَلِ:

فِي هَذَا الْبَيْتِ الْعَدِيدِ مِنَ الْإِنَاجِيلِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ، بِهَا فِي ذَلِكَ إِنْجِيلُ «وَيْكَلْف».

وَعِنْدِي أَيْضًا إِنْجِيلُ سَبِيرِيَانُو دِي فَاَلِيرَا وَإِنْجِيلُ لَوْتِر - الَّذِي هُوَ مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ



الأدبية أسوأ الأناجيل - ونسحة لاثينية من فولعيت . وكما ترى فإن ما يعوزني لبس الأناجيل بالضبط

بعد لحظات من الصمت قال : «لست فقط أبيع الأناجيل أستطيع أن أعرص عليك كتاباً مقدساً عثرت عليه صدفة في ضواحي «نيكاتر» وقد يعيدك». فتح الحقيقة، ووضع الكتاب على المنضدة. كان محلاً تقطع الثمن، مغلفاً بالقماش. وليس ثمة شك في أنه تنقل كثيراً بين الأيدي وقد أذهلني، وأما أنفحصه، ورره غير الاعتيادي. كان مكتوباً على ظهره (سفر مقدس) وأسفل ذلك (مومي) قلت: «ربما كان من القرن التاسع عشر».

قال: «لا أعرف، لا أعرف عنه شيئاً على الإطلاق».

فتحت الكتاب عشوائياً كان الخط غريباً عليّ. الصفحات البالية والبائسة في طريقة كتابتها كانت متضودة في أعمدة ثائية كما لو في إنجيل. وكان النص محتشد الأسطر، ومنظوماً على شكل أبيات شعرية. وفي أعلى زاوية الصفحة كانت الأرقام عربية. لاحظت أن الصفحة اليسرى تحمل الرقم (لنقل أنه) ٤٠٥١٤، وأن الصفحة المواجهة تحمل الرقم ٩٩٩. قلبت الورقة كانت مرقمة بثمانية أرقام، وتحمل رسماً صغيراً مثل رسوم المعاجم - كانت ثمة مرساة مرسومة بقلم حبر، كما لو أن صبياً أخرق هو الذي رسمها.

وهنا قال العريب «أنظر الى الرسم بإمعان. فلن تراه مرة أخرى» نظرت حولي وطويت الكتاب. ثم فتحته ثانية. ودون طائل بحثت عن رسم المرساة صفحة بعد صفحة.

قلت لأخفي فزعي ويبدو أنه نسخة من الكتاب المقدس بإحدى اللغات الهندية، أليس كذلك؟

أجاب: «لا»، وكما لو أنه يفشي سرّاً خفض صوته.

«لقد حصلت على الكتاب في إحدى قرى السهل، بمقايضته بحفنة من الروبيات وإنجيل. لم يكن صاحبه يعرف القراءة واشك في أنه رأى في كتاب الكتب طلباً. لقد كان من الطبقة السفلى ولم يكن في رسع أحد أن يظا ظله دون أن يتلوث. أخبرني أن كتابه كان يسمى كتاب الرمل، فليس للكتاب ولا للرمل أية بداية أو نهاية».

طلب مني العريب أن أجد الصفحة الأولى.

وضعت يدي اليسرى على الغلاف وفتحت الكتاب، محاولاً أن أضع إبهامي على الورقة البيضاء الأولى. ولكنه كان جهداً بغير طائل. في كل مرة حاولت كان عند من الأوراق يفصل بين الغلاف وإبهامي. وبدا كما لو أن الأوراق تتناسل وتنمو من الكتاب.

«الآن حاول أن تجد الصفحة الأخيرة».

مرة أخرى فشلت. وبصوت ليس صوتي تلعثمت. «لا يمكن هذا».

متحدثاً بالصوت الخفيض نفسه قال الغريب: «لا يمكن، ولكنه موجود. فعدد أوراق هذا الكتاب لا متناهية لا أقل ولا أكثر. لا توجد صفحة أولى. ولا توجد صفحة أخيرة. ولا أعرف لماذا هي مرقمة هذا الترقيم الاعتباري ربما للقول بأن حدود السلسلة اللامتناهية تقل أي عدد».

ثم قال وكأنه يفكر بصوت عالٍ: «لو كان المكان لا متناهياً، لكنا في أية نقطة في المكان. ولو كان الزمان لا متناهياً، لكنا عند أية نقطة في الزمان».

أثارني تأملاته. سألته: «لا شك أنك متدين؟».

«أجل إنني مشيخي*». وضميري مطمئن. فانا على ثقة بأنني لم أخدع ذلك المواطن عندما قابضته كلام الله مكتابه الشيطاني هذا».

أكدت له أنه لم يفعل ما يلام عليه. وسألته ما إذا كان مجرد عابر بهذا الجزء من العالم. فأجاب بأنه كان يخطط للعودة الى وطنه في غضون أيام قليلة. ثم علمت فيما بعد أنه كان سكتلندياً من جزر «أوركني». أخبرته بأنني شخصياً متأثراً باستكشاف ثائراً عظيماً من خلال حبي لـ «ستيفنسون» و«هيوم».

صحح لي: «تعني ستيفنسون وروبي بيرز». وبينما كنا نتحدث كنت أستكشف الكتاب اللامتناهي. وبلا مبالاة مصطنعة سألته: «هل في نيتك أن تقدم هذا الشيء الغريب إلى المتحف البريطاني؟».

قال: «لا بل أقدمه لك» ثم طلب مبلغ كبير جداً للكتاب. أجبت صادقاً كل الصدق أن لا طاقة لي بهذا المبلغ، واستغرق في التفكير وبعد دقيقة أو دقيقتين عرضت عليه عرضاً قلت:

«أقترح أن تقايض. لقد حصلت على هذا الكتاب بحقنة من الروبيان ونسخة من الانجيل. وأنا سأقدم لك صك معاشي الذي استلمته نوا. ونسخي من

* تابع للكنيسة المشيحية التي لا تعترف بالاساقفة



إنجيل «ويكليف» مطبوعاً بحروف غوطية. لقد ورثته عن أسلافي.

تمت مع نفسه «إنجيل بحروف غوطية».

ذهبت إلى غرفة نومي، وأحضرت النقود والكتاب. قلب أوراقه وتعمن في صفحة الغلاف بحفاة عاشق كتاب أصيل.

قال: «اتفقنا».

لقد أذهلني أنه لم يساوم. وما كنت لأعرف إلا مؤخراً أنه دخل بيتي وقد عزم على بيع الكتاب. وتوق أن يحسب النقود وصعها في جيبه.

تحدثنا عن الهند، وعن «أوركي» عن النبلاء الثروحيين الذين حكموها. وكان الليل قد جنَّ عندما غادر. ولم أراه مرة أخرى، ولا عرفت اسمه أبداً.

فكرت في حفظ كتاب الرمل على الرف في الفراغ الذي خلفه إنجيل ويكليف. لكنني في النهاية قررت أن أخفيه خلف مجموعة مجلدات غير كاملة من ألف ليلة وليلة. ذهبت إلى الفراش ولم أتم. في الثالثة أو الرابعة صباحاً، أشعلت الضوء. أنزلت الكتاب المستحيل وقلبت صفحاته.

في إحدى الصفحات رأيت قناعاً محفوراً. وكانت الزاوية العليا تحمل رقماً لا أتذكره.

لم أعرض كنزي على أحد. وإلى جانب حسن الحظ في امتلاكه أضيف الحظ من تعرضه للسرقة، ثم التحوط من احتمال أن لا يكون لا متناهيًا. هذان القلقان قويا في بغضي القديم للجنس البشري. ولم يكن قد بقي لي من الأصدقاء إلا القليل، والآن فقد توقفت عن رؤيتهم. كنت أقضي وقتي كله في البيت حبساً مع الكتاب. وبعد دراسة ظهره وغلافه المتهراين بعدسة مكبرة استبعدت احتمال أن يكون منطويًا على أية حيلة من أي نوع. الرسوم الصغيرة، كما تحققت من ذلك، تباعدت عن بعضها الفمي صفحة. شرعت بالصاقها أبجدياً في دفتر لم يلبث أن امتلأ. ولم يتكرر أي رسم. وفي الليل، أثناء فواصل النوم الضئيلة التي قطعت الأرق، كنت أحلم بالكتاب.

جاء الصيف وذهب. وأدركت أن الكتاب كان فظيهاً. وما جدوى أن أفكر، أنا الذي أنظر إلى الكتاب بعيني، وأمسكه بين يدي، أنني لم أقل فظاعة عنه؟ شعرت أن الكتاب كان موضوعاً كابوسياً، أو شيئاً قبيحاً يتحدى الواقع نفسه وشووه.

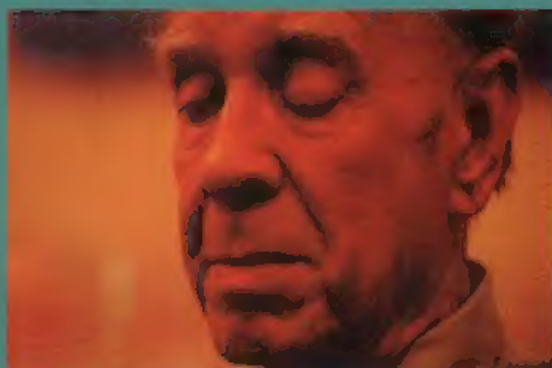
فكرت بإحراقه، لكنني خشيت إحراق كتاب لا مثناه قد يخزن الكوكب بدخان لا ينتهي . وتذكرت أنني قرأت في مكان ما، أن خير مكان لإخفاء ورقة هي الغابة . قبل التقاعد كنت أعمل في شارع مكسيكو في مكتبة الأرجنتين الوطنية، التي تضم تسعمائة ألف مجلد .

كنت أعرف أن على يمين المدخل درجاً منحنياً يؤدي إلى سرداب، حيث تحفظ الكتب والخرائط والدوريات . في يوم ما ذهبت الى هناك، وأنا اتخفى عن أنظار العاملين، ودون أن أعرف على أي ارتفاع من الباب أو أي بعد عنه، ضيعت كتاب الرمل في زحمة الرفوف التي جملتها الغبار . شعرت بشيء من الراحة . لكنني لا أريد أبداً أن أخترق شارع مكسيكو ثانية .

المحتوى

٥	من مخورخي لويس بورخيس
٧	المقدمة: بورخيس، لعبة الضمير، الغامضة
١٣	الأخر
٢١	أولريكا
٢٥	المجلس
٤١	ثمة أشياء أخرى
٤٧	طائفة الثلاثين
٥١	ليلة الهبات
٥٧	المرأة والقناع
٦١	أوندر
٦٧	يوتوبيا رجل مُتَعَب
٧٣	الرشوة
٧٩	القرص
٨٣	كتاب الرمل

خورخي لويس بورخيس



عن الكاتب:

- «كان بورخيس أحد كبار الكتّاب في زماننا، وأحد سادة اللغة الإسبانية»

أرستو سانبلاتو

- «في آثاره خيال مضاعف، خيال العالم الجديد، أما مضامينه فتتخذ نقطة انطلاقها من أننا محكومون بالعيشية».

كارلوس فويلتس

عن كتابته :

- «أكتب لنفسي، وأكتب لأصدقائي، وأكتب كي أخفف من عبء مرور الزمن»

كتاب الرمل

في هذا الكتاب نطالع أهم القصص التي صنعت شهرة بورخيس وبواته تلك المكانة الرفيعة في عالم الأدب.

إن بورخيس هنا يتأمل، ويسائل ويعزز مسباراه عميقاً في معنى الزمن والواقع والفكر، معيداً تشكيل العالم عبر رؤياه هو، الفنان والحالم والمفكر، متجاوزاً مظاهر الأشياء التي كان يؤمن أن مهمة الأدب تنحصر في تعريضها، والقبض على جواهرها.

تقاسم 997411 • سرب 94734 • عتق 1194 الأيس



للنشر والتوزيع

ISBN 9957-09-009-7 (ردمك)